THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

W. Arthur Jeffery

5110.

كتاب

ضوء السراج

﴿ فى فضل رجب وقصة المعراج ﴾

وبيان رؤية النبي عليه السلام لربه والرؤية القلبية
والمنامية والشفاهة ومايتعلق بذلك من المنافع العامة

تأليف

حضرة العارف بالله تعالى شيخ الشيوخ أستاذ الافاضل المرحوم
الشيخ محمد آمين الكردى الأربلى الشافعى النقشبندى ابن
الشيخ فتح الله زاده رزقهما الله الحسنى وزيادة المتوفي ليلة
الأحد الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين
وثلثمائة وألف من هجرة حامل لواء العز والشرف
عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام

﴿ حقوق الطبع محفوظة لنجل المؤلف ﴾

نجل الدين أمين الكردى

كل نسخة لم تكن مختومة بختم نجل المؤلف تعد مسروقة

﴿ الطبعة الثالثة ﴾

بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

BP
75.2
.I15

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى تجلى لحبيبه المصطفى فأراه عجائب الملكوت . وأشهده جمال ذاته فى مقام الأنس والصفا وأطلعه على عوالم الجبروت . وجعله فاتحاً خاتماً شافعاً للمذنبين . وحلاه بجميل السجايا . وبين له فضيلة الأشهر وجليل المزايا . وجعل من أحبه فى أعلى عليين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث من خلاصة معدولبابة عدنان . وعلى آله وصحبه أهل الصفاء والعرفان . اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(أما بعد) فيقول الفقير الحقير الذليل الى ربه المبين . الراجى عفوه عبده (محمد أمين) الشافعى مذهبا . النقشبندى مشربا . الكردى نسبة الأربلى بلدة . الازهرى إقامة . بينما أنا مشتغل بتأليف كتابى المسمى (بسراج الواعظين . فى نصيحة المسلمين) إذ دخل بعض من يعز من الاخوان علىّ . ومن لتقواه أقرب منهم إلىّ . وكنت وقتئذ قد فرغت من فضل شهر رجب الحرام وما اشتمل عليه من قصة الاسراء والمعراج وما يستدل به على إثباتهما من الأدلة العقلية والنقلية من الكتاب والسنة وإجماع الأمة مع بسط القول فى إزالة ماوقع لبعض المبتدعين من الشبه وما يتعلق بذلك من رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه وما أراه

من آياته الكبرى و إعطائه الشفاعة العظمى و مايترتب على هذا التصديق من الثواب . و على مخالفته من العقاب . مع فوائد كثيرة و مباحث نفيسة لايستغنى عنها طالب التحقيق فلما قرأت عليهم ذلك كله و وجدوه شافيا . ولهذا الغرض كافيا . لم يسعهم إلا تكليفى بتعجيل طبع هذه المسائل على حدتها فى كتاب مسطور . قبل تمام تأليف ذلك الكتاب المذكور . فتوقفت مدة حتى شرح الله صدرى لذلك وسميته (بضوء السراج . فى قصة الإسراء و المعراج) فجاء بحمد الله على مايرام و نسأله القبول والتوفيق والفوز بدار السلام بجاه سيد الأنام

﴿مقدمة فى وجوب محبته صلى الله عليه وسلم . و اتباع سنته﴾

أعلم ان محبه رسول الله صلى الله عليه وسلم هى الدرجة التى يتنافس فيها المتنافسون . و اليها يشخص العاملون . و عليها يتفانى المحبون و من روح نسيمها يتروح العابدون . فهى قوت القلوب و غذاء الأرواح و قرة العيون . و هى الحياة التى من حرمها فهو من جملة الأموات . والنور الذى من فقده فهو فى بحار الظلمات . وهى روح الأيمان و الأعمال والأحوال و المقامات . فمحبته صلى الله عليه وسلم لازمة . والآيات الكريمات بوجوبها و عظم خطرها جازمة . ولن يؤمن أحد حتى يكون أحب اليه من نفسه . و من ولده و والده وسائر أبناء جنسه . و من أحبه وجد حلاوة الأيمان . و دخل فى زمرته إلى محل الروح والريحان . و فاز برفقه الذين أنعم عليهم الرب . و كان معه فى درجته والمرء مع من أحب . و من علامة

محبته توقيره و تعظيم قدره . و اظهار الخضوع و الخشوع عند سماع ذكره . و الشفقة على امته و بر صالحهم . و النصح لهم و السعى فى مصالحهم . فطوبى لمن عد من جملة محبيه . وامتثل جميع أوامره و اجتنب كل نواهيه و آثر ماشرعه على هواه . و أسخط العباد فى رضا الله و رضاه . و داوم على العمل بسنته . و وافق ماحض عليه مخالفا لشهوته . و تفقه فى دينه و شريعته . و تخلق بخلقه و تطبع بطبيعته . وأحب من أحبه . وعظم آل بيته وصحبه وجانب كل أمر يخالف شرعه . واعرض عمن تعرض لمحدثة فيه أو بدعه ونهض للوقوف عند حدوده . و رفض أقوال شامتيه وحسوده . و بذل النفس و المال دونه . و مال الى الذين يحبهم ويحبونه . و إذا كان الانسان يحب من منحه فى دنياه مرة أو مرتين معروفا فانيا منقطعاً أو استنقذه من مهلكة أو مضرة لاتدوم فما بالك بمن منحه منحا لا تبيد ولاتزول . و وقاه من العذاب الأليم مالا يفنى ولا يحول . و اذا كان المرء يحب غيره على ما فيه من صورة جميلة أو صفة حميدة فكيف بهذا النبى الكريم . و الرسول العظيم . الجامع لمحاسن الخلق والاخلاق والتكليم . المانح لنا جوا مع المكارم و الفضل العميم . فقد منحنا الله به منح الدنيا والآخرة . و أسبغ علينا نعمه باطنة و ظاهرة . و بالجملة فلا حياة للقلب إلا بمحبة الله تعالى و محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاعيش إلا عيش المحبين الذين قرت أعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم اليه و اطمأنت قلوبهم به . واستأنسوا بقربه . وتنعموا بمحبته ففى القلب طاقة لايسدها إلا محبة الله و رسوله

ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرة

﴿ فصل فى فضل شهر رجب ﴾

اعلموا إخوانى وفقنى الله وإياكم لطاعته وحفظنا من عصيانه ومخالفة أمره ان الله جل ذكره وتقدست اسماؤه قد جعل شهر رجب موسما للخيرات . ومغنما للسعادات . وربيعا للمقربين وقربة للمتباعدين . فهو شهر الله الأصب تصب فيه الرحمة على التائبين . وتفاض فيه . أنوار القبول على العاملين . فيا أيها العاصى قد أقبل عليك شهر حرام فاستقبله بالتوبة من الحرام . أقبل عليك شهر مبارك . فتدارك فيه ما تدارك . فكم من انسان أدرك رجب ولم يدرك شعبان . وكم من انسان أدركهما ولم يدرك رمضان . فمن لعب من عمره فقد ضيع أيام حرثه . ومن ضيع أيام حرثه . فقد ضيع أيام حصاده ولا يعرف قدر الشباب الا الشيوخ ولا قدر الصحة الا المرضى ولا قدر الحياة إلا الموتى فكم يامسكين مضى عليك جمادى وجمادى . وأنت فى المعاصى تتمادى . يقول الله تبارك وتعالى فى بعض كتبه المنزلة (ياعبدى أغلق عنك أبواب المعاصى . افتح لك أبواب اختصاصى . ياعبدى أغلق أبواب الذنوب . افتح لك أبوابا من علم الغيوب . ياعبدى أغلق أبواب المخالفة . افتح لك أبواب المكاشفة ياعبدى أعتزل عن الدور والقصور أزوجك غدا من الحور) فلو عرفته يامسكين للقيت فى طريق طلبك رشداً . ولو أجبته لبلغت فى سبيل محبتك قصداً . ولو شكرته لزادك من جزيل نعمه رفداً . ولو ذكرته لأذاقك من

لذيذ ذكره شهداً . ولو اتقيته لأوردك مواردأحبابه يوم يحشر المتقون الى الرحمن وفداً . ويساق المجرمون الى جهنم وردا . فالسعيد من اتخذ عند الرحمن عهداً .فقف بين يدى مولاك فى ليالى رجب وابك على تفريطك فيما عليك وجب . عسى ان يهبك فيمن وهب . فيا أخوانى هذا شهر قبول المعذره هذا شهر العفو والمغفرة. هـذا شهر الله فاقبلوا فيـه على الله هذا شهر الله الاصم . فخذوا منه بالحظ الاتم . واحترموه بكثرة الصيام . والندم على ماسلف من الآثام وافشوا السلام . وأطعموا الطعام . وصلوا الأرحام . وصلوا بالليل . والناس نيام . تدخلوا الجنة بسلام كانت العرب تعظم رجب والملائـكة والانبياء تعظمه والعظيم الجبار عظمه وكرمه وحرمه ومن شرف هذا الشهر المبارك أن خزنة الـكعبة يفتحون البيت من أول رجب الى آخره لايغلقونه ويقولون الشهر شهر الله والبيت بيت الله والعباد عباد الله والرحمة رحمة الله . وروى الديلمى عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (يسُحُّ اللهُ الخيرَ فى أربعِ ليالٍ سحا ليلةِ الأضحى وليلة الفطر وليلةِ النصف من شعبان وأولِ ليلة من رجب) وروى الديلمى أيضاً بسنده عن أبى امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (خمس ليال لا تُرَدُّ فيها دعوة أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الجمعة وليلتا العيدين) ويقال أن الله تعالى يقول فى كل ليلة من رجب (رجب شهرى والعبد عبدى والرحمة رحمتى والفضل بيدى وأنا غافر لمن استغفرنى فى هذا الشهر ومعط لمن سألنى فيه) قال

الشيخ عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه فى الغنية يقال فى أول ليلة من رجب الهى تعرض لك فى هذه الليلة المتعرضون وقصدك القاصدون وأمل فضلك ومعروفك الطالبون ولك فى هذه الليلة نفحات ومواهب وعطايا تمن بها على من تشاء من عبادك وتمنعها عمن لم تسبق له منك عناية وها أنا عبدك الفقير اليك المؤمل فضلك ومعروفك فجد على بفضلك ومعروفك يارب العالمين . ويقال إذا كان أول ليلة من رجب أمر الله ملكا ينادى الا أن شهر التوبة قد استهل فطوبى لمن استغفر الله فيه وذكر بعض الصالحين أن من قال كل يوم من العشر الاول من رجب سبحان الحى القيوم مائة مرة وكل يوم من العشر الثانى مائة مرة سبحان الله الاحد الصمد ومن العشر الثالث مائة مرة سبحان الله الرءوف لم يصف الواصفون مايعطى من الثواب وروى عن وهب بن منبه رضى الله عنه قال قرأت فى بعض كتب الله المنزلة ان من استغفر الله فى رجب بالغداة والعشى يرفع يديه ويقول (اللهم اغفرلى وارحمنى وتب على سبعين مرة لم تمس النار له جلدا) فأكثروا من الاستغفار فى رجب فان لله تعالى فى رجب عتقاء من النار (فائدة) عن بعض الافاضل أنه قال من قال فى شهر رجب وشعبان ورمضان كل يوم بين العصر والمغرب استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم غفار الذنوب وستار العيوب وأتوب اليه توبة عبد ظالم لنفسه لا يملك ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا أوحى الله تعالى الى الملكين الموكلين به ان خرقا صحيفة ذنوبه وخطاياه (فائدة أخرى) عن بعض

الصالحين أيضا مامن عبد يقرأ كل يوم من أيام رجب سورة قل هو الله أحد مرة واحدة إلا أوتى من الثواب مالا يعلم قدره إلا الله تعالى فانه وحمل عشرة آلاف جمل قراطيس واجتمع الملائكة الذين هم سكان السموات بأيديهم أقلام من ذهب يسودون تلك القراطيس لم يقدروا على ثواب قل هو الله أحد . ومن قرأ الدعاء الآتى ليلة السابع والعشرين من رجب وطلب مقصوده أجاب الله دعاءه وهو هذا (بسم الله الرحمن الرحيم) اللهم انى اسألك بمشاهدة أسرار المحبين وبالخلوة التى خصصت بها سيد المرسلين حين أسريت به ليلة السابع والعشرين أن ترحم قلبى الحزين وتجيب دعوتى يا أكرم الاكرمين . هذا رجب هو اسم من الاسماء المشتقة واشتقاقه من الترجيب والترحيب هو التعظيم عند العرب . واسمه الاصب لان الرحمة تصب فيه صبا . واسمه أيضا الاصم لما قيل من أنه يرفع الى الله اذا انقضى فيسأله الله تعالى عن أعمال عباده فيسكت ثم يسأله ثانيا فيسكت ثم يسأله ثالثا فيسكت ثم يقول يارب انت أمرت عبادك أن يستر بعضهم بعضا وسميت الاصم فسمعت طاعتهم دون معصيتهم . واعلم أن معنى رفع الشهر إلى الله تعالى واليوم والليلة ونحو ذلك من سائر الاعراض كالأقوال و الافعال أنه سبحانه وتعالى يخلقها فى صورة نورانية فتصعد تلك الصورة و تفعل و تقول مابينته الاحاديث الواردة عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم و ليس معنى ذلك أن ينقلب العرض جوهرا كما قيل بل معناه أنه تعالى يحدث بقدرته بسبب الاعمال التى يعملها العباد صوراً

هى الطف من عالمنا هذا واكثف من عالم الارواح ويعبر الصوفية عن هذا العالم المتوسط بعالم المثال لان هـذه الصورة تحاكى ماهى صورة له تمام المحاكاة وتمثله لذهن من يراه أتم التمثيل فتبارك الله أحسن الخالقين قال بعض أهل الاشارة رجب ثلاثة أحرف (راء وجيم وباء) فالراء من رحمة الله والجيم جرم العبد وجنايته والباء بر الله فكأن الله تعالى يقول اجعل جرمك وجنايتك بين رحمتى وبرى . ورجب شهر القاء البذر وشعبان شهر السقى ورمضان شهر الحصاد فمن لم يزرع بذر الطاعة فى رجب ولم يسقها بماء العين فى شعبان فكيف يصل إلى حصاد الرحمة فى رمضان . ومن لم يكن له حرمة رجب لم يكن له حرمة شعبان ومن لم يكن له حرمة شعبان لم يكن له حرمة رمضان ويروى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (شهر رجب شهر الله وشهر شعبان شهرى وشهر رمضان شهر أمتى) أى لان الله خص رجب بالمغفرة وشعبان بالشفاعة ورمضان بتضعيف الحسنات . وقيل رجب شهر التوبة وشعبان شهر المحبة ورمضان شهر القربة . وقد زين الله الشهور بأربعة ذى القعدة وذى الحجة والمحرم ورجب فذلك قوله تعالى (منها أربعة حرم) فالاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد وهو شهر رجب كما أخرج الشيخان من حديث أبى بكر أن النبى صلى الله عليه وسلم خطب فى حجة الوداع فقال فى خطبته (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث

متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان) أشار النبى صلى الله عليه وسلم فى هـذا الحـديث الى أن الله سبحانه وتعالى منذ خلق السموات والارض وخلق الليل والنهار يدوران فى الفلك وخلق مافى السماء من الشمس والقمر والنجوم وجعل الشمس والقمر يسبحان فى الفلك فينشأ منهما ظلمة الليل وبياض النهار فمن حينئذ جعل السنة اثنى عشر شهرا بحسب الهلال والسنة فى الشرع مقدرة بسير القمر وطلوعه لا بسير الشمس وانتقالها كما يفعله أهل الكتاب ومراده صلى الله عليه وسلم بذلك أن يبطل ما كانت الجـاهلية تفعله من النسىء فذكر ذلك توطئة لهدم النسىء وابطاله والنسىء هو تأخير حرمة شهر من الاشهر الحرم الى شهر آخر كما كانت تفعل الجاهلية كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهراً آخر ورفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد فـكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر ويستحلون المحرم فاذا احتاجوا الى تأخير تحريم صفر اخروه الى ربيع وهكذا شهر أبعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وهكذا كانوا يفعلون بالحج فأعلمهم المصطفى صلى الله عليـه وسلم أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فى الحديث المتقدم وأمرهم بالمحافظـة على ذلك لئلا يتبدل فى مستأنف الايام وقوله صلى الله عليه وسلم رجب مضر لان مضر كانت تزيد فى تعظيمه واحترامه فنسب اليهم وسمى هذه الاشهر الاربعة حرما لعظم حرمتها وحرمة الذنب فيها *

وقال ابن عباس رضى الله عنهما اختص الله أربعة أشهر جعلهن حرما وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم وللعمل الصالح الاجر الأعظم فجدير لمن سود صحيفته بالذنوب أن يبيضها بالتوبة فى شهر رجب

بيض صحيفتك السوداء فى رجب ... بصالح العمل المنجى من اللهب
شهر حرام أتى من أشهر حرم ... اذا دعا الله داع فيه لم يخب
طوبى لعبد زكا فيه له عمل ... فكف فيه عن الفحشاء والريب

وقال كعب الاحبار اختار الله الزمان فأحبه إلى الله الاشهر الحرم قيل حرم ذو القعدة المسير فيه الى الحج وذو الحجة لوقوع الحج فيه وشهر المحرم للرجوع فيه من الحج حتى يأمن الحاج على نفسه من حين يخرج من بيته الى أن يرجع وحرم رجب للاعتمار فيه فى وسط السنة فيعتمر من كان قريبا من مكة

﴿فصل فى صوم رجب﴾

يامن ضل عن الهدى ولم يخش عواقب الردى ، وضيع أوقاته سدى. ونبذ الاعمال الصالحة وراءه ظهريا . ودعاه ربه الى طاعته فكان لربه عصيا أن أردت الخلاص والنجاة يوم القصاص . فاتبعنى أهدك صراطا سويا فتب يامسكين من الاوزار . وشد لطاعة ربك الازار . إن أطعته أثابك . وإن دعوته أجابك . وأن عصيته أمهلك وان رجعت اليه قبلك . فلازم بابه وانقطع اليه . واعتمد فى جميع أحوالك عليه: فهذا شهر رجب شهر العبادة شهر السعادة شهر الصيام فتطهر فيه بالصوم . واترك الكسل والنوم . وقم فى الأسحار . وناد الملك الغفار . عسى أن يدخلك مع الابرار . واعلم

أن من أحياه بالصوم والعبادة فقد اغتنم الجزاء الأوفى وشرب الزلال الأصفى والعجب ثم العجب ممن ينكر الصوم فى رجب مع أنه من الاشهر الحرم قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام رضى الله عنه . من نهى عن صوم رجب فهو جاهل والمنقول استحباب صيام الاشهر الحرم قال حجة الاسلام فى الاحياء قال رسول الله ﷺ (صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره) وقال شارحه قال العراقى لم أجده هكذا وفى المعجم الصغير للطبرانى من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما اه وكأنه أراد أن يستشهد بهذا الحديث الذى رواه الطبرانى على حديث المنصف فأن شهر المحرم شهر حرام وكذلك رجب وقال (صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله) رواه البخارى ومسلم وقال (صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر تذهبن وحر الصدر) رواه البراز ورجاله رجال الصحيح وشهر الصبر هو رمضان والوحر بفتح الواو والحاء هو غشه وحقده ووساوسه وروى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له عبادة سبعمائة سنة) قال أنس رضى الله عنه صمت أذناى ان لم أكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الازدى فى الضعفاء ورواه ابن شاهين فى الترغيب وابن عساكر فى التاريخ لكن بلفظ من صام فى كل شهر حرام ثلاثة أيام الخ . وروى البيهقى فى شعب الايمان عن أبى قلابة قال (فى الجنة قصر لصوام رجب

وقال هذا أصح ماورد فى صوم رجب قال و أبو قلابة من التابعين ومثله لايقول ذلك الا عن بلاغ و أخرج أبو محمد الخلال فى فضائل رجب عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال (صوم أول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين والثانى كفارة سنتين و الثالث كفارة سنة ثم كل يوم كفارة شهر) و قال (من صام اليوم السابع والعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهراً) رواه أبو هريرة مرفوعا. وعن أنس قال لقيت معاذاً فقلت له من أين قال من عند النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له ماقال قال سمعته يقول (من صام يوما من رجب يبتغى به وجه الله تعالى دخل الجنة) فدخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله حدثنى معاذ عنك بكذا فقال صدق (أنا قلت ذلك أنا قلت ذلك أنا قلت ذلك) وقال صلى الله عليه وسلم (أن فى الجنة نهراً يقال له رجب أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل من صام يوما من رجب سقاه الله من ذلك النهر) رواه البيهقى عن أنس و اعلم أن هذه الاحاديث لاينبغى ترك العمل بها لما قال النووى فى الاذكار قال العلماء من المحدثين والفقهاء وغيرهم يجوز و يستحب العمل فى الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف مالم يكن موضوعا واما الاحكام كالحلال والحرام والبيع والنكاح والطلاق وغير ذلك فلا يعمل فيها إلا بالحديث الصحيح أو الحسن وقال أيضاً واعلم أنه ينبغى لمن بلغه شىء فى فضائل الاعمال أن يعمل به ولو مرة واحدة ليكون من أهله. ولا ينبغى لأحد أن ينكر الاحاديث الواردة فى فضائل

الاعمال من حيث كثرة الثواب وقلة العمل فان ذلك لايعدل مثقال حبة من خردل فى سعة رحمة الله وكرمه قال صاحب كتاب ذخيرة العابدين رأيت جماعة أنكروا هذه الاحاديث الواردة فى الصلوات والفضائل من حيث مافيها من كثرة الثواب والاجور العظيمة وقالوا أن ذلك كثير على عمل قليل ولعمرى هؤلاء من أى وجه أنكروها أقصرت قدرة الله عنها أم ضاقت رحمته الواسعة بها فاذا كانت قدرة الله شاملة لكل مقدور ورحمته أوسع من مداد البحور. والطاعات أمارات الاجور. فمن الجائز وعد درجات ومثوبات. على قليل من الخيرات. لتعلم قدرته وعظمته وكرمه كيف وفى صحاح الاخبار مالايعد ولا يحصى ففى الحديث الشريف (أن الله تعالى يعطى عبده المؤمن بحسنة واحدة ألف ألف حسنة ثم تلا أن الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما) فاذا قال تعالى أجراً عظيما فمن يعرف قدر هذا الاجر العظيم الذى يعطيه الله. وفى الحديث الشريف (أن أدنى أهل الجنة لمن ينظر إلى أزواجه وقصوره وسروره ونعيمه مسيرة ألف عام وان أكرمهم على الله لمن ينظر الى وجه الله تعالى كل يوم مرتين بكرة وعشيا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة اه

أقول من تلك الأحاديث الصحاح ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَنْ قالَ لا إله إلا اللهُ وَحْدَهُ لاشَرِيكَ لهُ لهُ المُلْكُ ولهُ الحمْدُ وَهُوَ علَى كلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ عَشَرَ مَرَاتٍ كَانَ كَمَنْ اعتَقَ أرْبَعَةَ أنفسٍ

مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ) رواه الشيخان وغيرهما وفى رواية أخرجها الطبرانى (كُنَّ لَهُ كَعَدْلِ عَشْرِ رَقَبَاتٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عليهِ السَّلَامُ) فانظر الى هذا الفضل العظيم والثواب الجسيم على هذا العمل اليسير ولا تعارض بين هذين العددين فان الجزاء يختلف باختلاف أحوال العاملين فى كمال الاخلاص وتمام الخشوع وقوة حضور القلب مع المعبود فيكون جزاءُ العشر مرات من بعض العاملين عتق أربع رقاب ومن بعضهم عتق عشر وروى النسائى عنه صلى الله عليه وسلم (ماقالَ عَبْدٌ قَطُ لا إله إلا الله وَحْدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ على كُلِّ شىءٍ قَدِيرٌ مُخْلِصاً بها رُوحُهُ مُصَدِّقاً بها قَلْبُهُ ناطِقاً بِها لِسَانُهُ إلاَّ فَتَقَ اللهُ لَهُ السَّمَاءَ فَتْقاً حَتَّى يَنْظُرَ إلى قَائِلِهَا مِنَ الأَرْضِ وَحَقٌّ لِعَبْدٍ نَظَرَ اللهُ إليهِ أنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ) وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَقَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لايَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ ورفع له أَلْفَ أَلْفِ دَرَجَةٍ) قال الحافظ المنذرى اسناده متصل حسن اه فالحمد لله على فضله وروى الطبرانى والحاكم واللفظ له وقال صحيح الاسناد عن النبى ﷺ قال (مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مائَةَ مرَّةٍ كَتَبَ اللهُ لهُ مَائَةَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَأَرْبَعاً وَعِشْرِينَ أَلْفَ حَسَنَةٍ) قالوا يارسول الله إذا لايهلك منا أحد قال (بلى إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَجِىءُ بالحَسَنَاتِ لَوْ وُضِعَتْ على جَبَلٍ أَثْقَلَتْهُ ثم

تجيء النعم فتذهب بتلك ثم يتطاول الرب بعد ذلك برحمته) وقال (ومن قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر) رواه مسلم والترمذى والنسائى وفى رواية له (من قال سبحان الله وبحمده حط الله عنه ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر) ولم يقيده باليوم ولا بالمائة مرة وعن أم هانى رضى الله عنها قالت مر بى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقلت يارسول قد كبرت وضعفت فمرنى بعمل اعمله وأنا جالسة قال (سبحى الله مائة تسبيحة فانها تعدل لك مائة رقبة تعتقينها من ولد إسماعيل واحمدى الله مائة تحميدة فانها تعدل لك مائة فرس مسرجة ملجمة تحملين عليها فى سبيل الله وكبرى الله مائة تكبيرة فانها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة وهللى لله مائة تهليلة تملأ ما بين السماء والأرض ولا يرفع يومئذ لأحد عمل أفضل مما يرفع لك إلا أن يأتى بمثل ما أتيت) رواه البيهقى ورواه أحمد بسند حسن والنسائى ولم يقل ولا يرفع الخ ورواه الطبرانى فى الكبير وفى الاوسط بسند حسن إلا أنه قال فى التهليل (فهو خير لك مما أطبقت عليه السماء والأرض) ورواه ابن أبى الدنيا وقال فى التهليل (لا تذر ذنبا ولا يسبقها عمل) ورواه الحاكم وصحح اسناده وزاد (وقولى ولا حول ولا قوة إلا بالله لا تترك ذنبا ولا يشبهها عمل) وعن أبى هريرة قال قال رسول صلى

الله عليه وسلم (مَنْ صَلىَ بَعْدَ المَغْرِبِ ستَّ رَكعَاتٍ لمْ يَتَكَلَّمْ فِيمَا بَيْنَهُنَّ بِسُوءٍ عَدَلْنَ بِعِبَادَةِ اثْنتى عَشْرَةَ سنة) رواه ابن خزيمة فى صحيحه والترمذى وابن ماجه لكن أشار الحافظ المنذرى الى تضعيف هذا الحديث حيث قال أنهم رووه من حديث عمر ابن أبى خثعم اه يعنى وهو ضعيف ضعفه البخارى جدا كذا غيره من الحفاظ كما هو موضح فى تهذيب التهذيب وعن أوس الثقفى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (مَنْ غَسَّلَ يومَ الجمعةِ وَاغتسلَ وبكَّرَ وابتكر ومشى ولم يركَبْ ودنا من الامام فأستمع ولم يلغُ كانَ لهُ بِكلِ خطْوَةٍ عملُ سَنةٍ أجرُ صيامِها وقيامِها) رواه أحمد وأبوداود والترمذى وقال حديث حسن والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه وغيرهم وقوله عليه الصلاة والسلام غَسلَ المراد به غسل الرأس سواء قرأته بتخفيف السين أو تشديدها للمبالغة وقوله اغتسل معناه غسل سائر الجسد وانما خص غسل الرأس بالذكر لان العرب كانت لهم شعور كثيرة وفى غسلها مؤنة وهذا التفسير أولى فأنه يؤيد ما أخرج ابن خزيمة فى صحيحه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا كان يومُ الجمعةِ فاغتسل الرجل وغسل رأسه ثم تَطَيَّبَ من أطْيبِ طيبه ولبس من صالح ثيابه ثم خرج الى الصلاة ولم يفرق بين اثنين ثم استمع الامام غفر له من الجمعة الى الجمعة وزيادة ثلاثه أيام) وقوله بكر وابتكر قيل معناهما واحد أى بادر الى فعل الجمعة بأن ذهب اليها من الفجر كما هو عند الشافعية أوقبل الزوال بساعة

كما قال به مالك رضى الله عنه أومن الزوال كما قال به بعض المالكيه والشافعية وعلى هذا فالتكرار للتوكيد وقيل بل معنى بكر بادر الى الصلاة كامر ومعنى ابتكر أدرك أول لحظة وأول كل شيء باكورته والاحاديث الصحاح فى هذا المعنى كثيرة على أنه قد صح فى فضل الصيام مطلقا أحاديث تدل على فضل كثير وثواب عظيم فيكون صيام رجب داخلا فيها دخولا أوليا لانه من الاشهر الحرم ذات الشأن العظيم من ذلك حديث أبى امامة قال قلت يارسول الله مرنى بعمل قال (عَلَيْكَ بالصَّوْم فانه لاعَدْلَ لهُ) وسأله ثانية وثالثة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم (عَلَيْكَ بالصَّوْم فَانَّه لامِثْلَ له) رواه ابن خزيمة فى صحيحه الذى هو فى درجة صحيح مسلم والنسائى والحاكم وصححه وابن حبان فى صحيحه وقال كان أبو أمامة لايُرَى فى بيته الدخان نهارا إلا إذا نزل بهم ضيف وروى الشيخان وغيرهما عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مَامِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْماً فى سَبيلِ اللهِ تَعالى إلاباعَدَ اللهُ بذلك اليَوْمِ وَجْهَهُ عنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفا) يعنى سنة وَرَوى الطبرانى باسناد حسن عنه عليه الصلاة والسلام قال (مَنْ صَام يَوْماً فى سَبيلِ الله جَعَلَ اللهُ بينَهُ وَبينَ النَّار خَنْدَقاً كَمَا بَينَ السَّماءِ والأرض) وقال صلى الله عليه وسلم (مَنْ صَامَ يَوْماً فى سَبيلِ الله فى غَيْرِ رَمَضَانَ بَعَّدَ مِنَ النَّارِ مائَةَ عَام) رواه أبو يعلى ورواه الطبرانى بلفظ (مَنْ صَامَ يَوْماً فى سَبيلِ الله بَعَّدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّار مَسِيرَةَ مائَةِ عَامٍ رَكْضَ الفَرَس

الجَوَادِ المُضَمَّرِ) والركض السير السريع والفرس يقال على الذكر والانثى من الخيل والجواد الجيد والمضمر من التضمير والاضمار وهو أن يقلل علف الفرس بعد ما أشبعت ليخف لحمها وتضمر بطنها ليكون عونا لها على السرعة فى السير وقد ذهبت طائفة من العلماء إلى أن كل الصوم فى سبيل الله إذا كان خالصا لوجه الله تعالى ولم يخصوه بالجهاد على أنه قد جاء حديث ثابت صريح أو كالصريح فى أن رجبا كان معتنى بصيامه والازدياد فيه من الخير على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ينازع فيه الا مكابر أو من غلب عليه هوى وهو ما أخرج النسائى فى سننه عن اسامة بن زيد قال قلت يارسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال ذاك شهر تغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم فقوله عليه الصلاة والسلام فى شعبان أنه شهر مغفول عنه بين هذين الشهرين يدل على أن شهر رجب لم يكن اذ ذاك مغفولا عنه كرمضان وذلك ظاهر لايخفى على منصف فيا عباد الله لاتنكروا قدرة الله فقدرته أعظم من ذلك ويا أخوانى هل منكم من اغتنم هذا الفضل الجزيل بهذا العمل القليل وهل منكم من أحسن فى هذا الشهر العمل وبلغ من مجاهدة نفسه الامل فيا من يسعى الى المعاصى ويبادر ويجمع الدنيا جمع مكاثر ومفاخر ويقنع بالبطالة ويرضى باسم خاسر أين إخوانك وأحبابك أما رحلوا إلى المقابر أين أقرانك هل ترى لهم من

ذا كر أين زادك أما أنت مسافر أما استحييت و أنت تعصى الاله الملك القادر أما تخجل أيها العاصى من الستر ألك قدرة على النكال أم أنت على العذاب صابر فيا إخوانى و يا أحبابى و يا أصحابى تعالوا بنا نبك على ماضى من عمرنا و ما اسلفناه من ذنوبنا و على ما نجده من فقد خشية ربنا فمن يرد القرب من المحبوب فليبك على الذنوب .

يا كثير البكا أظنك مثلى * أنا من بالذنوب صار ذليلا
ياخليا ومطلقا نح قليلا * قالى النوح قد وجدت سبيلا
كم أنادى فلا أراك مجيبا * لو سمعت الندى أطلت العويلا
إخوتى كيف لا أطيل بكائى * وبجهلى عصيت ربا جليلا
قم فنادى اذا الأنام نيام * يامقيل العثار كن لى مقيلا

ياهذا ليس هذا زمان حديث انما هو زمان بكاء و تضرع و استكانة هذا زمان احفظ لسانك و اخف مكانك و عالج قلبك و خذ ماتعرف و دع ماتنكر . قال عوف بن عبد الله بلغنى أنه لاتصيب دموع الانسان من خشية الله مكانا من جسده إلا حرم الله ذلك المكان على النار . و كان محمد ابن المنكدر إذا بكى مسح وجهه و لحيته من دموعه و يقول بلغنى أن النار لاتأكل موضعا مسته الدموع من خشية الله قال تعالى (و خافون إن كنتم مؤمنين) و قال (و لمن خاف مقام ربه جنتان) و قال يحيى بن معاذ مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة ، و قال ذو النون من خاف الله ذاب قلبه واشتد لله حبه وصح له لبه . قال عليه الصلاة والسلام قال

الله عز وجل (وعزتى وجلالى لاأجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمنين فان امننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة وإن خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة) رواه ابن حبان والبيهقى وقال (اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها) وقال الحسن رضى الله عنه ان الرجل ليذنب الذنب فما ينساه ويزال متخوفا حتى يدخل الجنة . وروى عن النبى ﷺ أنه قال (ياجبريل ماأرى ميكائيل يضحك قال ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار وما جفت لى عين منذ خلقت جهنم مخافة أن أعصى الله عز وجل فيجعلنى فيها) وسئل ابن جبير رضى الله عنه عن الخشية فقال هى أن تخشى الله حتى تحول خشيته بينك وبين معاصيه . إخوانى اذا تمكن الخوف من أرض القلوب والضلوع جرت سواقى الدموع فسقت بستان الخشية فأزهر بالندم وأثمر بالتوبة ياهذا البكا يطفى جمر الذنوب ويحيى زرع القلوب ويوصلك إلى المطلوب فابك فى خلواتك على جفواتك ابك بعبراتك على عثراتك ابك فى أيامك على ذنوبك وآثامك ابك فى لياليك على غيك وتماديك * قيل أوحى الله الى شعيب النبى عليه السلام ياشعيب * هب لى من رقبتك الخضوع * ومن قلبك الخشوع ومن عينك الدموع * وادعنى فانى قريب وبكى زيد الرقاش عند موته فقيل له مم تبكى فقال أبكى على مايفوتنى من قيام الليل وصيام النهار وحضور مجلس الذكر . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (اكثروا ذكر هاذم اللذات

عانكم ان ذكرتموه فى ضيق وسعه عليكم وان رضيتم به أجرتم وان ذكرتموه فى غنى بغضه اليكم فجدتم به فأثبتم) إن المنايا قاطعات الآمال والليالى مدنيات الآجال * وإن المرء بين يومين يوم قد مضى أحصى فيه عمله فختم عليه * ويوم قد بقى لعله لايصل اليه * أيام عمرك تذهب وجميع سعيك يكتب * ثم الشهيد عليك منك فأين منه المهرب * قال محمد ابن السماك الواعظ بلغنى أن بعبادان عابداً قد ترك الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة بقلبه قال فسرت الى زيارته من الكوفة حتى أتيت الى عبادان فسألت عن منزل الرجل فدلونى عليه فأتيت اليه وطرقت الباب فخرجت الى جارية عليها عباءة خلقة توارى جسدها فسلمت عليها فردت على السلام فقلت لها ياجارية هذا منزل العابد فقالت نعم فقلت لها استأذنى لى عليه ثم ناولتها درهما فقالت يا أيها الرجل مارأيت أعجب منك نحن قوم لانأخذ الرشوة على الدخول علينا أدخل على اسم الله وخذ درهمك قال فتعجبت منها ثم دخلت ودخلت خلفها الى موضع مورا بحصير فاستأذنت فأذن لها فقالت معى انسان يريد رؤيتك فقال ائذنى له فدخلت فرأيت شخصا قد ذبل من غير ألم ونحل من غير سقم وهو جالس على شفير قبر يتلو قوله تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) فسلمت عليه بعد فراغه فرد على السلام ثم أطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال أين أقبلت قلت من الكوفة فقال انت من بلد محمد بن السماك الواعظ من

قلت نعم أنا هو محمد بن السماك ففرح بى فرحا شديداً وصافحنى وقال لى يا ابن السماك اعلم أن الواعظ منزلته بمنزلة الأطباء فمنهم من يكون شفيقا ومنهم من يكون فظا غليظا وبى ألم وداء قد أعيى المعالجين قبلك فتأن على برفقك وداو ألمى بلطفك وأعرض عليه بعض مايلائمه من أدويتك ولفظك فانى مشتاق إلى ذلك فقلت له ياسيدى كيف يداوى مثلى مثلك فقد أتيت الى زيارتك ابتغى فضل دعائك وبركتك فقال يا ابن السماك هات من الفاظك وطيب كلامك فقلت له ياسيدى كيف بنا اذا صرنا إلى ظلم القبور وضيق اللحود ومسألة منكر ونكير فصاح صيحة عظيمة فخر مغشيا عليه فنادتنى زوجته من الحصير ناشدتك الله لاتزده فى الموعظة فيهلك وأقبلت ابنته تقول ياعم ناشدتك الله لاتزده شيئا فقد قتلته وبلغته الى ماهو فيه قال فسكت عنه فلما أفاق قال يا ابن السماك لقد ضيق مرهمك جرحى ووقع دواؤك قرح دائى فاذكر مابعد ذلك فقلت له إن أهلك منعونى أن أزيدك شيئا فبكى وقال أما علمت أن ليس على الانسان أشر من أهله وولده فما يكون بعد ذلك يا ابن السماك فقلت الطامة الكبرى قال وما هى قلت النفخ فى الصور وخروج الخلائق من القبور وهم يحملون الاوزار على الظهور والوقوف بين يدى ملك لايجور فيحاسب على الفتيل والنقير والقطمير والملائكة ينظرون يقول الجليل جل جلاله (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه) قال فلما سمع ذلك ظن أنه المأخوذ فصاح صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه وخر فى القبر فخرجت

زوجته وهى تبكى وتقول حسكم الله بينى وبينك يا ابن السماك كما قتلته وأيتمت ولدى وخرجت ابنته وهى صارخة تبكى فنزلت اليه ورفعت رأسه وجعلت تمسح الدم عن وجهه وتقول يا أبت ما أحسن عينيك طالما أغمضتهما عن محارم الله يا أبت ما أحسن لسانك طالما كان رطبا بذكر الله ففتح عينيه وأفاق من غشيته وقال يا ابن السماك أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم شهق شهقة فمات فلحقنى عليه وجد وحزن فما برحت حتى غسلوه وكفنوه وكنت فى جملة من صلوا عليه

(شعر)

الى كم ذا التغافل والتمادى * وحادى الموت بالارواح حادى
فلو كنا جمادا لاتعظنا * ولكنا أشد من الجماد
تنادينا المنية كل يوم * ولكن الذنوب لفى ازدياد
اذا ما الزرع قارنه اصفرار * فليس دواؤه غير الحصاد
كأنك بالمشيب وقد تبدى * وبالاخرى مناديها ينادى
وقالوا قد مضى فاقروا عليه * سلامكم الى يوم التنادى

(وحكى) أن ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه أتت عليه ليلة باردة ممطرة فأتى بعض المساجد ليبيت فيه فلما صلى العشاء وخرج الناس من المسجد جاءه إمام المسجد وقال له قم اخرج من المسجد قال فقلت له يا أخى أنا رجل غريب وعابر سبيل فاتركنى الليلة أبيت ههنا إلى غد

وأروح إلى حال سبيلى فقال لاسبيل إلى ذلك اخرج واطلب لك غير هذا فقلت له ياأخى اما ترى هذا المطر وهذا البرد الشديد فأنا غريب ويكفيك ماترى من سوء حالى قال ابراهيم فلما أطلت عليه الكلام أخذ برجلى وجرنى جراً شديداً عنيفا إلى مزبلة خارج المسجد وقد غضب غضبا شديداً فرمانى عليها وتركنى فقمت وقد تهشمت لما جر برجلى وبقيت متحيرا لا أدرى أين أتوجه فرأيت بالقرب منى مستوقد حمام ووقادا يوقد فيه فأتيته وسلمت عليه فلم يرد على السلام فلما فرغ من عمله نظر إلى ورد على السلام فقلت له ياهذا لم لاترددت على السلام فى وقته فقال ياهذا إعلم انى رجل أجير لانسان فى هذا المكان فخفت ان اشتغل معك فى السلام فأقصر فى عملى فأتم على تقصيرى فقلت له انى رأيتك تنظر يميناً وشمالا أتخاف من أحد قال نعم أخاف من الموت لاأدرى من أين يأتى قلت فبكم تعمل كل يوم قال بدرهم ودانق فأنا أنفق الدانق على وأنفق الدرهم على أولاد أخ لى مات قلت أخوك من أمك وأبيك قال لاهو أخ واخيته فى الله تعالى فمات وخلف صبيانا صغاراً فأنا أنفق عليهم منذ عشرين سنة قلت هل سألت الله حاجة قط قال نعم سألت الله حاجة منذ عشرين سنة وما قضيت قلت وما هى قال سألته أن يرينى ابراهيم ابن ادهم وأموت فقلت له ياأخى ما رضى أن يأتيك إلا مسحوبا على وجهه انا ابن أدهم قال انت ابن أدهم قلت نعم قال فوثب من مكانه وعانقنى ثم قال لى ضع رأسى فى حجرك ففعلت فسمعته يقول الهى قضيت حاجتى

فاقبضنى اليك قال ابراهيم فحركته فاذا هو قد مات فلما أصبح الصباح وإذا بأقوام قد أتوا وعليهم نور عظيم فساعدونى على غسله وتكفينه وصلينا عليه ودفناه فرأيته تلك الليلة فى المنام وهو فى الروضة خضراء وعليه حلة حمراء وهو يمشى ويتبختر فلما رآنى تبسم وأقبل الى وعانقنى فقلت له ماهذا الذى أراه عليك قال هذه درجة المقبولين وإشارة العاملين رضوان الله عليهم أجمعين

(فصل فى قصة الاسراء والمعراج)

ومما امتاز به هذا الشهر الحرام وقوع الاسراء والمعراج فيه لنبينا صلى الله عليه وسلم ولنذكر لك ذلك على ماأشارت اليه صحاح الاخبار مع تهذيب العبارة وتقريبها للافهام فنقول وبالله التوفيق اعلم هداك الله إلى الدين القويم . ومتعنى وإياك بالنظر الى وجهه الكريم . انه لما كان صلى الله عليه وسلم ثمرة شجرة الكون . ومكنون سر معنى كلمة كن . ولم يكن بد من عرض هذه الثمرة بين يدى مثمرها . ورفعها الى قرب منشئها والطواف بها على عجائب ملكوت الارض والسموات أرسل اليه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر وكان صلى الله عليه وسلم عند البيت فى الحجر مضطجعا بين النائم واليقظان وهو بين الحمزة عمه وجعفر ابن عمه أبى طالب بعد أن حمل من بيت أم هانئ فأيقظه جبريل ولسان حاله يقول قم أيها النجم الثاقب . فقد هيئت لك الغنائم والمواكب : فاستيقظ وقال بلسان الحال ياجبريل الى اين . قال يامحمد ارفع الاين من

البين . أنا رسول القدم . ارسلت اليك لاكون من جملة الخدم . يامحمد انت مراد الارادة الكل مراد لاجلك وانت مراد لاجله انت صفوة كأس المحبة . انت شمس المعارف . أنت بدر اللطائف . فقال عليه الصلاة والسلام ياجبريل فالكريم يدعوني اليه فما الذى يفعل بى قال (ليغفر لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر) فقال ياجبريل هذا لى فمالأ متى قال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال ياجبريل الآن قد طاب قلبى وها أنا ذاهب الى ربى. فاحتملته الملائكة حتى جاءوا به إلى زمزم فاستلقوه فتولاه منهم جبريل فشق من ثغرة نحره الى أسفل بطنه ثم قال جبريل لميكائيل ائتنى بطست من ماء زمزم فاستخرج قلبه فغسله ثلاث مرات ونزع ماكان فيه من أذى ثم أتى بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغه فى صدره وملأه حلما وعلما ويقينا واسلاما ثم أطبقه فالتأم سريعا ثم ختم جبريل بين كتفيه بخاتم النبوة بازاء قلبه ثم أتى بالبراق مسرجا ملجما . ومن عجيب أمره أنه يضع حافره حيث أدرك طرفه فاذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه فقدمه جبريل وقال اركب فلما تقدم نفر عنه فقال جبريل يابراق أما تستحى من محمد صلى الله عليه وسلم فوالذى نفسى بيده ماركبك خلق أكرم على الله منه فارفض عرقا ثم ثبت فقال جبريل اركب ياسيد المرسلين . قيل لما أراد الركوب بكى فسأله جبريل عن ذلك فقال تذكرت أمتى هل يركبون يوم القيامة قال نعم (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) أى ركبانا

فانسر صلى الله عليه وسلم بذلك وركب وانطلق فكان الآخذ بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل فساروا حتى بلغوا أرضا ذات نخل فقال له جبريل يامحمد صل ههنا ففعل فقال صليت بطيبة واليها تهاجر ان شاء الله فساروا حتى بلغوا ارضا بيضاء فقال له صل ههنا فصلى قال صليت بمدين عند شجرة موسى وهى التى استظل بها حين خرج خائفا من فرعون فساروا فقال صل ههنا ففعل قال صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى ثم بلغ أرضا بدت له قصور فقال صل ههنا فصلى قال صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم وتجلت له فى سيره هذا من عالم الغيب حقائق كثيرة ظهر بعضها فى هيئة المثال فكان يسأل عنه جبريل فيبين جبريل عليه السلام له صلى الله عليه وسلم حقيقة المراد منه وظهر بعضها لبا بلا قشر فانه بينما هو يسير على البراق اذ رأى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رآه فقال له جبريل ألا أعلمك كلمات اذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه قال بلى قال قل (اعوذ بوجه الله الكريم وكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ماينزل من السماء ومن شر مايعرج فيها ومن شر ماذرأ فى الارض ومن شر مايخرج منها ومن فتنة الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يارحمن) فانكب لفيه وطفئت شعلته فساروا حتى أتوا على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال ياجبريل ماهذا قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تعالى تضاعف لهم

الحسنة بسبعمائه ضعف . وشم ريحا طيبة فقال ماهذه الرائحة فقال هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وزوجها وأولادها ثبتوا على الدين الحق فلما علم بهم فرعون حاول أن يردهم عن دينهم فما استطاع فأمر بقدر كبيرة من نحاس فأحميت ثم القوا فيها وماتوا على ايثار الآخرة على الدنيا وتفضيل صيانة الدين على صيانة الانفس وأتوا على قوم ترضخ أى تكسر رءوسهم بالصخر كلما رضخت عادت صحيحة ولا يغفل عنهم فقال ياجبريل ماهؤلاء قال هؤلاء الذين تتثاقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة . ثم أتوا على قوم على اقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والغنم ويأكلون الضريع أى الشوك اليابس والزقوم أى ثمر شجرة فى النار كريهة الطعم ورضف جهنم أى الحجارة المحماه فقال من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين لايؤدون صدقات أموالهم . ثم أتوا على قوم بين أيديهم لحم طيب نضيج ولحم آخر نىء خبيث فجعلوا يأكلون من النىء الخبيث ويدعون الطيب فقال ماهذا ياجبريل قال هذا الرجل تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتى امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثا فتبيت معه حتى تصبح. ثم أتوا على خشبة على الطريق لايمر بها ثوب ولا شىء الا خرقته فقال ماهذا ياجبريل قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه . ورأى رجلا يسبح فى نهر من دم يلقم الحجارة فقال ماهذا قال هذا مثل آكل الربا . ثم أتوا على رجل قد جمع

حزمة حطب لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ماهذا ياجبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها ويريد أن يتحمل عليها . ثم أتوا على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت قال من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء خطباء الفتنة خطباء أمتك يقولون مالا يفعلون . ثم مروا بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم ثم أتوا على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم يريد ان يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ماهذا ياجبريل قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها . ثم أتوا على واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح المسك وسمع صوتا حسناً فقال ياجبريل ماهذا قال هذا صوت الجنة تقول يارب قد كثرت غرفى واستبرقى وحريرى وسندسى وعبقرى ولؤلؤى ومرجانى وفضتى وذهبى وأكوابى وصحافى وأباريقى وعسلى ومائى ولبنى وخمرى فأتنى بما وعدتنى فقال جل وعلا لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بى وبرسلى وعمل صالحا ولم يشرك بى شيئا ومن خشينى فهو آمن ومن سألنى أعطيته ومن توكل على كفيته اننى أنا الله لا اله الا أنا لا أخلف الميعاد * وقد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين . قالت رضيت . ثم أتوا على واد فسمع صوتا منكرا ووجد ريحا منتنة فقال ماهذا ياجبريل قال هذا صوت

جهنم تقول يارب قد كثرت سلاسلى و أغلالى و سعيرى و حميمى و ضريعى وغساقى و عذابى فأتنى بما وعدتنى فقال لك كل مشرك ومشركة و كافر وكافرة و كل جبار متكبر لايؤمن بيوم الحساب قالت رضيت و ليست الجنة و النار فى هذين الواديين فان الجنة عرضها السموات و الارض بل كشف له عنهما فنهما . و بينما هو يسير إذ دعاه داع عن يمينه يامحمد انظرنى اسألك فلم يجبه قال ماهذا ياجبريل قال هذا داعى اليهود أما انك لو اجبته لتهودت أمتك من بعدك . ثم دعاه داع عن شماله يامحمد انظرنى فلم يجبه قال ماهذا ياجبريل قال هذا داعى النصارى اما أنك لو أجبته لتنصرت أمتك من بعدك . ثم سار و إذا بامرأة كاشفة عن ذراعيها و عليها من كل زينة فقالت يامحمد انظرنى أسألك فلم يلتفت اليها قال ماهذه ياجبريل قال هذه الدنيا أما انك لو أجبتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة . ثم سار فاذا هو بعجوز على جانب الطريق فقالت يامحمد انظرنى فلم يلتفت اليها فقال ماهذه ياجبريل قل هذه اشارة الى أنه لم يبق من عمر الدنيا الا مابقى من عمر تلك العجوز . ثم سار فاذا هو بشيخ يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم انظرنى يامحمد فقال ياجبريل ماهذا قال هذا عدو الله إبليس أراد أن تميل اليه . ثم سار فمر على رجل يصلى فى قبره عند الكثيب الاحمر فسلم عليه فرد عليه السلام و قال من معك ياجبريل قال هذا احمد فقال مرحباً بالنبى العربى الذى نصح أمته ودعا له بالبركة وقال سل لامتك اليسرى فقال من هذا ياجبريل قال هذا

موسى بن عمران . ثم مر بابراهيم فسلم عليه فرد عليه السلام وقال من معك ياجبريل قال ابنك أحمد فقال مرحبا بالنبي العربي الأمي الذى بلغ رسالة ربه و نصح أمته يابنى انك لاقى ربك الليلة و إن أمتك آخر الامم وأضعفها فان استطعت أن تكون حاجتك أو جلها فى أمتك فافعل ودعا له بالبركة فقال ياجبريل من هذا قال أبوك ابراهيم . ثم سار حتى دخل مدينة بيت المقدس من بابها اليمانى فدخل المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر أى يميلان اليه عند طلوعهما وعنه اذا انحازا الى جهة المغرب فهو من جهة المشرق فأتى جبريل الصخرة التى ببيت المقدس فوضع أصبعه فيها فخرقها وشد البراق بها وكان صلى الله عليه وسلم قد نزل عند باب المسجد وربطه بالحلقة التى كانت تربطيها الانبياء قبله فحله جبريل وفعل ماسمعت وكأنه يقول له لست ممن يكون مركوبه بالباب بل أنت أعلى وأغلى فلا يكون مركوبك الا داخل المحل ثم لما دخل هو وجبريل صلى كل واحد ركعتين فقال جبريل يامحمد هل سألت ربك ان يريك الحور العين قال نعم قال فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن فانطلق فرآهن عن يمين الصخرة فسلم عليهن فردد عليه السلام قال لهن لمن انتن فقلن نحن خيرات حسان نساء قوم نقوا من الذنوب فلم يدرنوا وأقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير فعرف النبيين من بين قائم وراكع وساجد ثم أذن جبريل وأقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمداً صلى الله عليه وسلم باشارة

جبريل عليه السلام عليهم بذلك فصلى بهم فلما قضيت الصلاة أثنى كل على ربه فقال محمد ﷺ كلكم أثنى على ربه وأنا مثن على ربى فأقول الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل على القرآن فيه تبيان كل شىء وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتى أمة وسطا وجعل أمتى هم الاولون والآخرون وشرح لى صدرى ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى و جعلنى فاتحا خاتما * فقال ابراهيم عليه السلام بهذا فضلكم محمد ﷺ ثم أخذه ﷺ من العطش أشد ما أخذه فأتى بآنية اربعة لبن وماء وخمر وعسل مغطاة أفواهها فشرب الاول وترك الباقية فقال له جبريل اخترت الفطرة وهى دين الاسلام ولو شربت الماء لغرقت أمتك أو الخمر لغوت أمتك واعلم ان ليلة الإسراء كانت ام العجائب فمن عجائبها ان صلاح الامة وفسادها مربوط بأفعاله صلى الله عليه وسلم فيها و بخفى لطف الله تعالى وفق صلى الله عليه وسلم الى الفعل الذى يترتب عليه صلاحها وترك ما يترتب عليه فسادها (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) الا ترى كيف صرفه الله تعالى عن اجابة داعى اليهود والنصارى وهو (هو اهما) ظهر له فى هذه الصورة وألهمه شرب اناء اللبن وترك ما عداه فلله الحمد والمنة * ثم أتى بالمعراج من جنة الفردوس له مرقاة من ذهب وأخرى من فضة وكان جملتها عشرا سبع الى السموات السبع والثامنة الى اعلى سدرة المنتهى والتاسعة الى مستوى سمع فيه صريف الاقلام والعاشرة السحابة التى رفعته الى حيث المشاهدة والمخاطبة * وكل مرقاة

كانت تسقط من محلها حتى يضع النبى صلى الله عليه وسلم قدميه عليها فترتفع به إلى محلها فتسقط الاخرى وهكذا فصعد النبى ﷺ ومعه جبريل حتى انتهيا الى باب من أبواب سماء الدنيا يقال له باب الحفظة فاستفتحه جبريل فقال الموكل بالباب ومن معك قال محمد قال أو قد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به وأهلا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجى جاء * وهكذا كانت مقالة ملائكة كل سماء حين يستفتحها جبريل ففتح لهما فاذا فيها آدم عليه السلام تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها فى عليين ثم تعرض عليه أرواح ذريته الكفار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها فى سجين. ورأى عن يمينه ارواحا وبابا يخرج منه ريح طيبة وعن شماله ارواحا وبابا يخرج منه ريح خبيثة منتنة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واستبشر واذا نظر قبل شماله حزن وبكى فسلم عليه النبى ﷺ فرد عليه السلام وقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فقال النبى من هذا ياجبريل قال هذا أبوك آدم وهذه الارواح ارواح بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة وأهل الشمال منهم اهل النار وهذا الباب الذى عن يمينه باب الجنة اذا نظر من يدخله من ذريته ضحك واستبشر والباب الذى عن شماله باب جهنم اذا نظر من يدخله من ذريته بكى وحزن أى ان الجنة كانت تنكشف له من جهة اليمين والنار من جهة الشمال قال بعض الافاضل والظاهر أن هذه الارواح المعروضة هى التى خرجت من الاجساد إلى البرزخ فيحكم عليه السلام لها أو عليها على

حسب ماقدمت به على بارئهامن ايمان او كفر ولايلزم من عرض الأرواح في السماء على آدم ﷺ ان تفتح ابواب السماء للكفار فان العرض يحصل بالكشف له عنها وهى من الخارج ثم مضى قليلا فاذا هو باقوام بطونهم امثال البيوت كلما نهض احدهم خر فقال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا من امتك (لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) ثم مضى قليلا فاذا هو باقوام لهم مشافر كمشافر الابل فتفتح افوههم ويلقمون جمرا فسمعهم يضجون الى الله تعالى فقال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء (الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا) ثم مضى قليلا فاذا هو بنساء معلقات من ثديهن ونساء منكسات معلقات من ارجلهن فسمعهن يضججن الى الله فقال من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء اللاتى يزنين ثم مضى قليلا فاذا هو باقوام يقطع من جنوبهم اللحم ويطعمونه فيقال كل كما كنت تأكل من لحم أخيك فقال ياجبريل من هؤلاء قال الهمازون من امتك اى المغتابون اللمازون اى العيابون ثم اذن جبريل وأقيمت الصلاة وأخذ جبريل بيده ﷺ فقدمه فصلى بالملائكة ركعتين وهكذا كان يفعل جبريل به فى كل سماء حين فراقها . ثم صعدا على مرقاة المعراج الثانية فارتفعت بهما الى السماء الثانية فلما خلصا اذا هما بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحى بن زكريا شبيه أحدهما بصاحبه بثيابهما وشعرهما ومعهما نفر من قومهما واذا عيسى جعد مربوع يميل الى الحمرة والبياض فسلم عليهما فردا عليه السلام ثم قالا مرحبا بالاخ

الصالح والنبي الصالح وبشراه ودعوا له بخير . ثم صعدا على مرقاة المعراج الثالثة فارتفعت بهما الى السماء الثالثة فلما خلصا اذا هما بيوسف ومعه نفر من قومه فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ودعا له بخير فقال من هذا ياجبريل قال أخوك يوسف ثم صعدا على مرقاة المعراج الرابعة فارتفعت بهما الى السماء الرابعة فلما خلصا اذا هو بادريس قد رفعه الله مكانا علياً فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم دعاله بخير ثم صعدا على مرقاة المعراج الخامسة فارتفعت بهما إلى السماء الخامسة فلما خلصا اذا هو بهارون ونصف لحيته أبيض ونصفها أسود تكاد تضرب الى سرته من طولها وحوله قوم من بنى اسرائيل وهو يقص عليهم أخبار الامم الماضية فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم دعا له بخير فقال من هذا ياجبريل قال هذا الرجل المحبب فى قومه هارون بن عمران . ثم صعدا على مرقاة المعراج السادسة فارتفعت بهما الى السماء السادسة فلما خلصا جعل يمر بالنبيين وأممهم ثم مر بسواد عظيم فقال ما هذا قال موسى وقومه ولكن ارفع رأسك فاذا هو بسواد عظيم قد سد الافق فقيل له هؤلاء أمتك وسوى هؤلاء سبعون الفاً يدخلون الجنة بغير حساب فسلم النبي على موسى فرد عليه السلام ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم دعا له بخير وقال يزعم الناس انى اكرم على الله من هذا بل هو أكرم على الله منى . ثم صعدا على مرقاة المعراج السابعة فارتفعت بهما الى السماء السابعة فلما خلصا فاذا النبي عليه

الصلاة والسلام بابراهيم الخليل جالس عند باب الجنة على كرسى من ذهب مسند ظهره الى البيت المعمور ومعه نفر من قومه فسلم عليه النبى فرد عليه السلام وقال مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم قال مر أمتك فلتكثر من غراس الجنة فان تربتها طيبة و ارضها واسعة فقال وما غراس الجنة قال سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر وفى رواية ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس وقوم فى ألوانهم شىء فقام هؤلاء الذين فى ألوانهم شىء فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شىء ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شىء. ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه وقد خلصت ألوانهم فصارت مثل ألوان أصحابهم فقال ياجبريل من هؤلاء البيض الوجوه ومن هؤلاء الذين فى ألوانهم شىء وما هذه الأنهار التى دخلوها فقال أما هولاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا (إيمانهم بظلم) وأما هؤلاء الذين فى ألوانهم شىء فقوم (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) فتابوا فتاب الله عليهم وأما هذه الانهار فأولها رحمة الله والثانى نعمة الله والثالث (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) وقيل له هذا مكانك ومكان أمتك و إذا هو بأمته شطران شطر عليهم ثياب كانها القراطيس وشطر عليهم ثياب رمد فدخل البيت المعمور ودخل معه الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمدوهم على خير فصلى ومن معه من المؤمنين فى البيت المعمور و إذا هو يدخله كل يوم سبعون

الف ملك لا يعودون اليه الى يوم القيامة وأنه بحذاء الكعبة لو خر منه حجر لخر عليها . ثم أتى الى سدرة المنتهى وهى شجرة عظيمة لها أوراق كآذان الفيلة تكاد الورقة تغطى هذه الامة واذا نبقها مثل قلال هجر وما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها يخرج من أصلها اربعة انهار نهران ظاهران ونهران باطنان فقال ماهذه الانهار ياجبريل قال أما الباطنان ففى الجنة وهما الكوثر والسلسبيل وأما الظاهران فالنيل والفرات قال جمهور أهل العلم ان الله تبارك وتعالى بقدرته أنزل اصول هذه الانهار من الجنة كيف شاء واستودعها حيث شاء من هذا العالم ثم أجراها فى الارض من المنابع التى يشاهدها الناس ولا يبعد على قدرته عز وجل وقيل أن معنى كون النيل وغيره من أنهار الدنيا آتية من الجنة انها شبيهة بأنهارها فى العذوبة والبركة والمنافع الكثيرة وعلى هذا فيكون النيل والفرات اللذان رآهما ينبعان من أصل السدرة ليسا بالنهرين اللذين عندها بل مارآه انما هو صورة مثالية خلقت له اذ ذاك ليستفاد منها جودة هذه الانهار وبركتها ومنافعها الغزيرة حتى كأنها من الجنة وقد قدمنا ان الحقائق التى تجلت له ﷺ فى تلك الليلة على قسمين احدهما ظهر فى صورة مثالية ولهذا كان يستفسر عنه فيجيبه جبريل والثانى ظهر لباً بلا قشر فيكون هذا المنظر الذى ظهر له عند السدرة قد جمع القسمين جميعا فالنهران الظاهران من الأول والنهران الباطنان من الثانى ومن تأمل هذه القصة الشريفة لم يخف عليه ما قلناه ثم أخذه على الكوثر حتى دخل الجنة وبينما هو يمر فيها إذ

عرضت عليه النار وسيأتى تفصيل ذلك فى الفصل بعده ان شاء الله ثم صعدا على مرقاة المعراج الثامنة فارتفعت بهما الى أعلى سدرة المنتهى فرأى على كل ورقة ملكا من الملائكة وغير ذلك مما سيأتى بيانه فى تفسير آية المعراج . ثم صعدا على مرقاة المعراج التاسعة فارتفعت بهما الى مستوى سمع فيه صريف الأقلام أى صوت حركتها وجريانها على المكتوب فيه فى أقضية الله تعالى ووحيه وما ينسخونه من اللوح المحفوظ أو ماشاء الله تعالى * ولما تم له صلى الله عليه وسلم الاطلاع على ماشاء الله تعالى من عالم السوى وجاء وقت قربه علا على مرقاة المعراج العاشرة قال له جبريل هذا هو الموضع الذى أفارقك فيه فقال إذا فارقتنى كيف يكون حالى قال يامحمد أنا من الروحانيين وهذا مقامى (ومامنا إلا له مقام معلوم) ولو جاوزته قدما واحداً لاحترقت من نور الجبار جل جلاله . ثم قال لى تقدم فأنت أكرم على الله منى ومن جميع خلقه وإذا بمرقاة المعراج العاشرة سحابة فيها من كل لون فغشيته وطارت به تخرق ماشاء الله من العوالم حتى أوصلته الى نور العرش فرأى رجلا مغيبا فيه فقال من هذا أملك قيل لا قال أنبى قيل لا قال من هو قيل هذا رجل كان فى الدنيا لسانه رطب بذكر الله وقلبه معلق بالمساجد (فائدة) يؤخذ من هذا الحديث فى شأن الرجل الغيب فى نور العرش انه لاشىء أنفع فى الوصول إلى الله عز وجل من كثرة ذكره فلما غيب ذلك الرجل لسانه الذى هو من عالم الخلق فى نور الذكر فى دار الدنيا كان جزاؤه عند ربه أن يغيبه فى نور العرش الذى هو أعظم

عالم الخلق ولو كان ذلك الرجل غيب قلبه الذى هو من عالم الأمر الذى هو أشرف وأعلى من عالم الخلق بتمامه فى نور الذكر بحيث خرس لسانه وانكف ظاهره عن الحركة استغراقا فى الهيبة واستهلاكا فى الأحدية لكان جزاؤه أن يغيب فى نور رب العرش لا فى نور العرش ومن هنا نعلم أن فضل ذكر القلب على ذكر اللسان كفضل رب العرش على نور العرش . فلما غشيته السحابة رأى ربه بعينى رأسه لا فى جهة ولا بانحصار خر ساجدا وكلمه ربه فقال له يامحمد قال لبيك يارب قال سل فقال إنك اتخذت ابراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الانس والجن والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيته ملكا لاينبغى لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى باذنك وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل فقال الله تعالى قد اتخذتك حبيبا وأرسلتك للناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك واذكرت إلا ذكرت معى وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وجعلت أمتك أمة وسطا وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون وجعلت أمتك لاتكمل لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأولهم يقضى له وأعطيتك سبعا من المثانى

لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك الكوثر وأعطيتك ثمانية أسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وإنى يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك والاسهم جمع سهم وهو النصيب يعنى أعطيتك ثمان خصال وخصصتك بمجموعها فلا ينافى أن بعضها كان لغيره والمراد بالاسلام كلمتا الشهادة ثم انجلت عنه السحابة بعد أن جاءت به الى موقف جبريل وأخذ بيده جبريل فانصرف سريعا فأتى على ابراهيم فلم يقل شيئا ثم أتى على موسى فقال يا محمد ماذا فرض ربك عليك وعلى أمتك قال خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك فرجع حتى انتهى إلى حيث تغشاه السحابة فغشيته فرأى ربه وخر ساجداً كالمرة الأولى . ثم قال رب خفف عن أمتى فانها أضعف الأمم قال قد وضعت عنهم خمسا ثم انجلت السحابة ورجع الى موسى فقال وضع عنى خمسا فقال أرجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك فلم يزل يرجع بين موسى وربه ويحط عنه خمسا خمسا حتى قال الله تعالى يا محمد قال لبيك وسعديك قال هن خمس صلوات كل يوم وليلة كل صلاة بعشر فتلك خمسون صلاة لا يبدل القول لدى ولا ينسخ كتابى أى الحكم الذى لم أرد نسخه وكونها خمسا منه . ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشراً ومن هم بسيئة فلم

يعملها لم يكتب عليه شيء فان عملها كتبت سيئة واحدة وانجلت السحابة فنزل حتى انتهى الى موسى فأخبره فقالى ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لاتطيق ذلك فقال قد راجعت ربى حتى استحييت منه ولكن أرضى وأسلم فنادى مناد أن قد أمضيت فرضى وخففت عن عبادى فقال له موسى أهبط بسم الله فلما نزل الى سماء الدنيا نظر الى أسفل منه فاذا هو بهرج ودخان وأصوات فقال ماهذا ياجبريل قال هذه الشياطين يحومون على عيونى بنى آدم حتى لايتفكروا فى ملكوت السموات والأرض ولولا ذلك لرأوا العجائب . ثم هبط فى المعراج الى صخرة بيت المقدس فاذا بالبراق على حاله فركب وسار فمر بعير بالروحاء قد ضلوا ناقة لهم فانتهى الى رحالهم وليس بها منهم أحد وإذا بقدح ماء فشربه . ثم مر بعير لقريش وفيها جمل أحمر عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى العير نفرت واستدارت فصرع ذلك البعير وانكسر ثم مر بعير فى التنعيم يقدمها جمل اورق عليه مسح اسود وغرارتان سوداوان ثم وصل الى بيت الله الحرام فأنزله جبريل فى داره . ثم ودعه فأوى الى فراشه فلما اصبح الصباح وأتى المسجد عرف أن الناس تكذبه فقعد حزينا فمر به أبو جهل فجاء حتى جلس فقال له كالمستهزىء هل كان من أمرك شيء قال نعم قال ما هو قال أسرى بى الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فقال أرأيت إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتنى قال نعم قال يا معشر بنى كعب ابن لؤى

هلم فجاءوا حتى جلسوا اليهما فقال حدث قومك بما حدثتنى به فقال صلى الله عليه وسلم إنى أسرى بى الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه متعجبا وضجوا وأعظموا ذلك . فقال المطعم بن عدى كل أمرك قبل اليوم كان سهلا غير قولك اليوم نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهراً ومنحدرا شهرا وتزعم انك أتيته فى ليلة واللات والعزى لا أصدقك فقال أبو بكر يامطعم بئس ماقلت لابن أخيك أنا أشهد أنه صادق فقالوا يا محمد صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل وفى القوم من سافر اليه فذهب ينعت لهم بناءه كذا وهيئته كذا وقربه من الجبل كذا فما زال ينعته لهم حتى التبس عليه نعته فكرب كربا ما كرب مثله فجىء بالمسجد وهو ينظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فقالوا كم للمسجد من باب فجعل ينظر اليها يعدها لهم بابا بابا ويعلمهم وأبو بكر يقول صدقت صدقت أشهد أنك رسول الله فقال القوم اما النعت فوالله لقد أصاب ثم قالوا لأبى بكر أفتصدقه انه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال نعم انى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك بخبر السماء فى غدوة أو روحة فبذلك سمى أبو بكر الصديق ثم قالوا يا محمد اخبرنا عن عيرنا قال أتيت على عير بنى فلان بالروحاء قد ضلوا ناقة لهم فانطلقوا فى طلبها فانتهيت الى رحالهم وليس بها منهم أحد وإذا بقدح ماء فشربته ثم انتهيت

الى عير بنى فلان بمكان كذا وكذا وفيها جمل احمر عليه غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر ثم انتهيت الى عير بنى فلان فى التنعيم يقدمها جمل أورق عليه مسح اسود وغرارتان سودا وان وهاهى تطلع عليكم من الثنيه قالوا فمتى تجىء العير التى بها الجمل الاحمر قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون العير وقد ولى النهار ولم تجىء فدعا النبى صلى الله عليه وسلم فزيد له فى النهار ساعة وحبست له الشمس حتى ظهرت العير فاستقبلوا الابل وقالوا هل انكسر لكم جمل احمر قالوا نعم ثم سألوا العير الاخرى فقالوا هل ضلت لكم ناقة قالوا نعم قالوا فهل كان عندكم قصعة من ماء ففال رجل انا والله وضعتها فما شربها أحد منا ولا أهرقت فى الارض فرموه بالسحر فأنزل الله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس)

﴿ فصل فى بعض عجائب ما رآه صلى الله عليه وسلم فى ليلة المعراج ﴾

فمن عجائب مارآه صلى الله عليه وسلم أن عرضت عليه الجنة لانه كان يعرضها على أمته ليشتروها كما قال تعالى (أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فأراد الله تعالى أن يعاين النبى صلى الله عليه وسلم ما يعرضه على أمته ليكون وصفه لها عن مشاهدة وليعلم خسة الدنيا فى جنب ما رآه فيكون فى الدنيا أزهد وعلى الشدائد أصبر فلما دخلها صلى الله عليه وسلم فاذا فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت

ولا خطر على قلب بشر من النعيم المقيم فرأى على بابها مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقال ياجبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة قال لأن السائل يسأل وعنده شيء والمستقرض لا يستقرض الا من حاجة فسار فى الجنة فاذا هو بانهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى واذا فيها جنابذ اللؤلؤ أى قبا به واذا رمانها كالدلاء واذا بطيرها كالبخاتى . ورأى نهر الكوثر على حافتيه قباب الدر المجوف واذا طينته مسك أذفر * ومن عجائب ما رآه صلى الله عليه وسلم أن عرضت عليه النار وهو فى الجنة بان رفع عنه الحجاب حتى رآها ليتم له علم ما فى الملكوت بعين اليقين وليعلم حالها فيعلم ما أعده الله لاعدائه كما أعلمه ما أعده لاحبابه فيزداد طمأنينة فرأى فيها أثر غضب الله وزجره ونقمته لو طرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها فاذا فيها قوم يأكلون الجيف فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ورأى مالكا خازن النار فاذا هو كرجل عابس يعرف الغضب فى وجهه فبدأ النبى صلى الله عليه وسلم بالسلام ثم حجبت عنه النار * ومن العجائب أنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق أى النواحى المرئية يتناثر من أجنحته الامور المهوله كالدر والياقوت وغيرها مما لا يعلمه إلا الله قال بعض أهل الاشارات من العارفين قال جبريل بلسان حاله للنبى

صلى الله عليه وسلم يا محمد قد جعلتك الوسيلة فى حاجة قلت فيها حيلتى وانقطعت فيها وسيلتى وأنا فيها ذاهل الفكر * داهش السر * يا محمد حيرنى حين أوقفنى فى ميدان أزله وأبده * فجلت فى الميدان الاول * فما وجدت له أولا وجلت فى الميدان الآخر فاذا هو فى الآخر أول * فطلبت الرفيق * الى ذلك الفريق * فتلقانى ميكائيل فى الطريق * فقال الى أين والطرق مسدودة * والابواب دونه مردودة * ولا يوصف بالاماكن المحدودة * فقلت فما وقوفك فى هذا المكان قال شغلنى بمكيال البحار * وانزال الامطار * وارسالها الى سائر الاقطار * فأعرف كم للبحار زبدا * واعرف الامطار وسقوط الندى ولا أعرف لا حديته أمدا * قلت فأين اسرافيل قال فى مكتب التعليم يقرأ أمثال (ذلك تقدير العزيز العليم) فطرفه عن النظر مقصور * وقلبه عن الفكر محصور فهو كذلك حتى ينفخ فى الصور * قلت هل نسأل العرش ونستهديه * ونستنسخ ما عنده ونستمليه * فلما سمع العرش ما نحن فيه اهتز عجبا ومال مضطربا وقال لا تحدث به جنانك * ولا تحرك به لسانك * فهذا سر لا يكشفه حجاب * ولا يفتح دونه باب * وسؤال ليس عنه جواب * ومن أنا فى البين * حتى أعرف من هو بلا أين * وهو سبقنى بالاستواء وقهرنى بالاستيلاء * فلولا استواؤه لما استويت * ولولا استيلاؤه لما اهتديت فوعزته لقد خلقنى وفى بيداء أبديته حيرنى * وفى بحار أحديته اغرقنى * فتارة يدنينى من مواقف قربه فيؤنسنى * وتارة يحتجب عنى بحجاب عزته

فيوحشنى وتارة يواصلنى بكأس حبه فيسكرنى * فكلما استغرقت فى عربدة سكرى قلت ربى أرنى انظر اليك * فيقول بلسان أحديته لن ترانى فلما أفقت من سكرى * قال ايها المحب هذا جمال قد صناه * وحسن قد حميناه * فلا يراه الا يتيم قد ربيناه » وحبيب قد اصطفيناه * فاذا سمعت (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) فقف على طريق عروجه الينا وقدومه علينا * لعلك ترى من يرانا فلما انتهى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج الى العرش تمسك بذيله وناداه بلسان حاله يا محمد الى متى تشرب فى صفاء وقتك آمنا من مقتك يطوف بك على ندماء حضرته ويحملك على رفرف كرامته * تارة يشهدك جمال أحدية (ما كذب الفؤاد ما رأى) وتارة يشهدك جمال صمدية (ما زاغ البصر وما طغى) وتارة يطلعك على اسرار ملكوت (فاوحى الى عبده ما أوحى) وتارة يدنيك من حضرة قرب (فكان قاب قوسين أو أدنى) هذا وأنا الظمآن اليه . واللهفان عليه المتحير فيه لا أدرى من أى جهة آتيه جعلنى أعظمهم خلقة فكنت أعظمهم منه هيبة * وأكثرهم فيه حيرة وأشدهم خيفة * يا محمد خلقنى فكنت أرعد لهيبة جلاله فكتب على قامتى (لا اله الا الله) فازددت لهيبة أسمه ارتعاداً فلما كتب (محمد رسول الله) سكن قلقى وهدأ روعى فهذه بركة وقع اسمك على فكيف اذا حل جميل نظرك الى . يامحمد أنت المرسل رحمة للعالمين ولا بد لى من نصيب من هذه الرحمة ونصيبى منها أن تشهد لى بالبراءة مما نسبه اهل الغرور الى

وتقوله أهل الزور على زعموا أنى أسع من لا حد له * وأحيط بمن لا كيفية له * يا محمد من لا حد لذاته * ولا عد لصفاته * كيف يكون مفتقرا الى ومحمولا على * يا محمد اذا كان الرحمن اسمه * والاستواء صفته وصفته متصلة بذاته فكيف يتصل بى * أو ينفصل عنى * لا أنا منه ولا هو منى * أوجدنى منه رحمة وفضلا * ولو محقنى لكان منه حقا وعدلا يا محمد أنا محمول قدرته * ومعمول حكمته * فاجابه بلسان حاله صلى الله عليه وسلم * أيها العرش اليك عنى * أنا مشغول عنك فلا تكدر على صفوتى ولا تشوش على خلوتى فما أعاره صلى الله عليه وسلم منه طرفا * ولا أقرأه من سطور ما أوحى اليه حرفا

﴿ فصل فى تفسير آية الاسراء ﴾

إعلموا إخوانى هدانى الله وإياكم الى طريق الرشاد * ووقانا بمنه من الزيغ والضلال والعناد * ان الله سبحانه وتعالى قد اختص حبيبه محمدا صلى الله عليه وسلم بالاسراء من المسجد الحرام * بمكة الى المسجد الاقصى بالشام * والعروج الى السموات العلا الى سدرة المنتهى الى ما فوقها وشهوده صلى الله عليه وسلم باهر جماله تعالى كما جاء بذلك صريح الآيات القرآنية * والاحاديث الصحيحة النبوية وكان ذلك بجسده وروحه يقظة لا منامًا فى مدة يسيرة من الليل * ومن أنكر أن محمدا صلى الله عليه وسلم انتقل بجسمه من مكة إلى العرش مع ما رأى صلى الله عليه وسلم من العجائب

والغرائب فى هذه المدة اليسيرة لامتناعه فى العقل بسبب استبعاده سرعة هذه الحركة الى هذا الحد فلينظر الى سرعة فلك الشمس التى هى قدر كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة عند قدماء علماء الهيئة اذ نراها بازغة من الارض وفى اسرع وقت نراها فارقة دائرة الافق مرتفعة مع عظم هذا الجسم فاذا كان هذا واقعا فى الحس فكيف يتصور امتناعه والممتنع مالا يتصور العقل وجوده وليتأمل فى تسخير الريح لسيدنا سليمان تسير فى ساعة مسافة شهر ونزول جبريل من العرش الى الفرش فى لحظة ما وليس حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم أقل منزلة من جبريل ولا دون سليمان فى الكرامة بل اذا كانت هذه الكرامة لهما فله أضعاف مضاعفة عنهما فانه سيدهما وسيد الخلق أجمعين وكيف ينكر ذلك وقد جاء فى القرآن من قصة آصف ابن برخيا وزير نبى الله سليمان عليه السلام إذ جاء بعرش بلقيس من أقصى اليمن قبل ارتداد الطرف . واتفق جمهور العلماء رضى الله عنهم على أن الاسراء كان بعد البعثة وقبل الهجرة بسنة وبه جزم النووى وحكى عن الزهرى الامام الحافظ المشهور أنه كان قبل الهجرة بخمس سنين ورجحه عياض ومن تبعه وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعثة وهو شاذ . واختلف فى الشهر الذى فيه وقع الاسراء فقيل فى شوال وقيل فى رمضان وقيل فى ربيع الثانى والذى جزم به النووى فى الروضة أنه كان فى شهر رجب . واختلف أيضا فى أى ليلة كان الإسراء والمعراج والذى اختاره الحافظ عبد الغنى المقدسى أنها ليلة سبع وعشرين من شهر

رجب ويؤيده أن عمل الناس عليه قال ابن دحية والظاهر أن يوم تلك الليلة الشريفة كان يوم الاثنين ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة فإن كل هذه الامور وقعت له صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم المبارك قال ابن الجوزى أوحى الله تعالى الى جبريل عليه السلام أن قف على أقدام عبوديتى معترفا بقدر ربوبيتى فقال ألهى أنت الرب اللطيف. وأنا العبد الضعيف فنودى ياجبريل خذ علم الهداية وبراق العناية. وخلع القبول والولاية. وانزل مع سبعين الف ملك الى باب شفيع الأمم سيد العرب والعجم وقف ببابه ولذ بجنابه. فأنت الليلة صاحب ركابه وياميكائيل خذ بيدك علم القبول. وانزل الى باب حجرة الرسول وياإسرافيل وياملك الموت. افعلا كما يفعل جبريل وميكائيل فقال جبريل الهى أقرب قيام الساعة. قال لا ولكن لى حبيب أريد قربه لأطلعه على الأسرار واخلع عليه خلع الضياء والانوار فنزل جبريل على نبينا بالبشارة والتهانى * وهو راقد فى بيت أم هانى * فناداه أيها النبى المختار قم الى حضرة الملك الغفار. فاسرى به الى حيث شاء الله وقد بين الله ذلك فى الكتاب المبين * فقال تعالى وهو أصدق القائلين (سبحان) هو اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه أى تنزه الله عن جميع صفات النقائص وهو انشاء للثناء به لانشاء تنزيه لانه تعالى منزه أزلا وأبداً قبل أن ننزهه وبعده ومعه وإنما المطلوب منا انشاء الثناء عليه تعالى به كانشاء الثناء بالحمد * روى ابن أبى حاتم عن على رضى الله عنه قال

(سبحان الله كلمة أحبها الله لنفسه ورضيها وأحب أن تقال له) وقد ورد فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قال اذا أصبح سبحان الله وبحمده الف مرة فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه عتيق الله) رواه الطبرانى فى الاوسط والخرائطى والاصبهانى وغيرهم وقوله اشترى نفسه أى اعتقها من عذابه فلا سبيل للنار عليه . وقال صلى الله عليه وسلم (من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة) رواه الترمذى وحسنه ورواه النسائى الا انه قال شجرة بدل نخلة وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى موضعين باسنادين قال فى أحدهما على شرط مسلم وقال فى الآخر على شرط البخارى اه وروى عن بعض اهل العلم قال (إن لله بحراً من نور حوله ملائكة من نور على خيل من نور وبأيديهم حراب من نور يسبحون حول ذلك البحر ويقولون سبحان ذى الملك والملكوت سبحان ذى العزة والجبروت سبحان الحى الذى لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح فمن قالها فى كل يوم مرة أو فى كل شهر مرة أو فى كل سنة مرة أو فى عمره مرة غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر) (الذى) اسم موصول يطلق على الله توصلا لما ليس من اسمائه ألا ترى أنه لا يسمى مسريا (أسرى) وسرى بمعنى سار فى الليل والاسراء حقيقة هو السير المحسوس ليلا (بعبده) هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى هو اشرف عباده على الاطلاق وأحقهم بالاضافة اليه ولفظ العبد من الصفات التى غلبت عليها الاسمية مأخوذ من

العبودية التى هى نهاية التذلل والخضوع لامن العبادة التى هى لازمها وهى أفضل من العبادة لبقائها فى الجنة دونها والعبودية هى ترك الاختيار والاختيار. والثقة بالفاعل المختار. وعدم منازعة الاقدار والتسليم لأمر الواحد القهار. وليس للمؤمن صفة أشرف ولا أتم من العبودية وقيل لما بلغ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة ليلة المعراج أوحى الله عز وجل اليه يامحمد بم شرفتك قال يارب حيث نسبتنى الى نفسك بالعبودية فأنزل الله سبحان الذى أسرى بعبده وعبر الله تعالى بعبده دون نبيه أو حبيبه حرصا على أمته أن يتجاوزوا الحد فيه بجعله الها فيفتتنوا كما افتتنت اليهود والنصارى حيث زعمت الاولى أن العزير بن الله والثانية أن المسيح بن الله (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) ولفظ عبد يكون اكبر دليل وأتم برهان على أن الاسراء بالروح والجسد لان لفظ العبد لا يطلق على الروح فقط ولا على الجسد فقط بل على الروح والجسد معا عند جميع أهل اللغة قال تعالى (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) وقال (وأنه لما قام عبدالله يدعوه) ومن زعم أن الاسراء كان فى المنام مستدلا بقوله (وماجعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس) بأن الرؤيا بالالف لاتكون الا للمنامية دون اليقظية العينية فمردود بأن لافرق بين الرؤية والرؤيا فى اللغة يقال رأيت بعينى رؤية ورؤيا كما قال الامام ابن دحية مالفظه. قال أهل اللغة رأيت رؤية ورؤيا مثل قربة وقربى. وقال المتنبى. ورؤياك أحلى فى العيون من

الغمض . والمتنبى امام فى اللغة كما شهد له أبو على الفارسى امام النحو فى زمانه . ومعنى الآية وما جعلنا الرؤيا التى أريناك أى التى شاهدتها ليلة الاسراء الا فتنة أى امتحانا واختبارا للناس لأنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر لهم قصة المعراج كذبوه وكفر به كثير ممن قد آمن به اذ شهود الاشياء التى من وراء الاطوار البشرية فى اليقظة رؤية بصرية هو الذى يترتب عليه مايترتب من الافتتان دون شهودها فى المنام فانه لايبعد أن يقع مثل ذلك لاى انسان تحلى بحلية الايمان وكفاك دليلا على صحة هذا التفسير ماروى البخارى فى حديث الاسراء والمعراج عن حبر الامة عبد الله بن عباس فى هذه الآية قال هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به الى بيت المقدس (ليلا) منصوب على الظرفية وهو للتأكيد وكان بلفظ التنكير للدلالة على تقليل مدة الاسراء . والحكمة فى كون الاسراء والمعراج ليلا أن الليل وقت الراحة واجتماع المحبين . واغتنام المريدين . وأوان الخلوة وليكون ابلغ للمؤمن فى الايمان بالغيب وفتنة للكافر ولان الملك لايدعو لحضرته ليلا الا من هو خاص عنده . وقيل لما محا الله آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر خاطر الليل فجبره الله تعالى بالاسراء به صلى الله عليه وسلم (من المسجد) المسجد بالكسر مكان السجود وقياسه الفتح كمقعد وسمى بيت الصلاة به دون مركع لان السجود اشرف أركان الصلاة (الحرام) مأخوذ من الحرمة بمعنى الاحترام . أو من الحرمة بمعنى عدم الحل لانه لايحل انتهاكه

بالدخول فيه بلا نسك والعمد لصيده وشجره والمسجد الحرام يطلق على جميع بقاع الحرم ليصدق بكل من القولين المحكيين وهو أنه كان تلك الليلة نائما فى المسجد أوفى بيت أم هانىء بنت أبى طالب ولا خلاف بينهما لانه على القول الثانى احتملته الملائكة من بيتها وجاءوا به الى المسجد فتولاه منهم جبريل فشق من ثغرة نحره الى أسفل بطنه فاستخرج قلبه فغسله ثلاث مرات ونزع ماكان فيه من أذى وملأه حكمة وإيمانا ثم أطبقه فالتأم سريعا بغير مشقة ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة . وفى رواية أنه أخرج منه علقة سوداء وقال هذا حظ الشيطان منك . والحكمة فى شق صدره صلى الله عليه وسلم مع القدرة على أن يمتلىء قلبه إيمانا وحكمة من غير شق الزيادة فى قوة اليقين لانه أعطى برؤية شق بطنه وعدم تاثره بذلك مأأمن معه من جميع المخاوف العادية فلذلك كان أشجع الناس حالا ومآلا ولذلك وصف بقوله (مازاغ البصر وما طغى) وحكمة غسل قلبه صلى الله عليه وسلم مع أن المعلوم قطعا طهارة قلبه حسا ومعنى أن أهل الإدراكات والاذواق اذا توجهوا على جواد همهم الى حضرة القدس طهروا قبل الدخول قلب الوصول من القاذورات النفسية وكل ماوقع فى هذا الاسراء من باب الايقاظ لاهل الصفا . قال بعضهم قد سن الغسل لداخل الحرم الشريف فما بالك بداخل الحضرة المقدسة فلما كان الحرم الشريف من عالم الملك وهو ظاهر الكائنات أنيط الغسل له بظاهر البدن ولما كانت الحضرة الشريفة من عالم الملكوت وهو

باطن الكائنات أنيط الغسل بباطن البدن . والحكمة فى اخراج العلقة السوداء من قلبه ﷺ مع أنه معصوم من الشيطان أن تلك العلقة خلقها الله تعالى فى قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه الشريف فلم يبق فيه مكان لان يلقى الشيطان فيه شيئا وانما خلقها الله فى هذه الذات الشريفة مع امكان عدم خلقها فيه لانها من جملة الاجزاء الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانسانى ولا بد منها ونزعها كرامة ربانية طرأت . وقوله وملأه حكمة وإيمانا أى شيئا يحصل به كمال الايمان والحكمة * فسمى إيمانا مجازا ويحتمل أن يكون على حقيقته وتجسد المعانى جائز كما جاء (إن سورة البقرة تجىء يوم القيامة كأنها ظلة والموت يجىء فى صورة كبش وكذا وزن الاعمال) وقد أسلفنا ماتستفيد منه توجيه ذلك فى الفصل الأول من هذا الكتاب ثم أتى بالبراق مسرجا ملجما فركبها وسار (إلى المسجد الاقصى) أى الابعد صفة للمسجد وهو بيت المقدس سمى أقصى لبعده عن المسجد الحرام وأول من بناه آدم بعد أن بنى الكعبة بأربعين سنة كما فى المواهب فهو أول مسجد بنى فى الارض بعد الكعبة وروى أنه لما انتهى ﷺ الى المسجد الاقصى ونزل فربط جبريل البراق ودخل المصطفى ﷺ المسجد فاذا النبيون والملائكة منتظرون حضوره ثم أذن جبريل وأقيمت الصلاة وقدمه جبريل للامامه وصلى بهم ركعتين . واختلف فى تلك الصلاة وهل كانت من النفل المطلق أو كانت من الصلاة المفروضة عليه ففى فتاوى بعضهم مايؤيد الثانى اعتمادا على ذكر الاذان والاقامة

وهما لم يعهدا فى غير الفريضة والظاهر الأول ولم يرد شىء فى تعيين القراءة فى تلك الصلاة والصواب أنها كانت بركوع وسجود لان النص يحمل على حقيقته الشرعية قبل اللغوية . والحكمة فى كونه أسرى به راكبا مع القدرة على طى الأرض له أو حمله على أجنحة الملائكة أو على الريح الاشارة إلى أن ذلك وقع له على حسب العادة فى مقام خرق العادة لأن العادة جرت بأن الملك اذا استدعى من يختص به بعث اليه ما يركبه مع أعز أعوانه . والحكمة فى إسرائه إلى بيت المقدس دون العروج به من مكة أنه معهد كثير من الأنبياء ، فيه نشأوا وتعبدوا ودعوا الناس الى الله تعالى فيستفاد منه التبرك بمواضع عبادات العباد وأمكنة أهل الخير أو أنه مجمع أرواح الأنبياء فأراد الله تعالى أن يشرفهم بزيارته ﷺ وصلاته بهم إماماً أو أن يخبر الناس بصفاته فيصدقوه فى الباقى أو حصول العروج له مستويا من غير تعويج للتفاؤل بالاستقامة إذ باب مصعد الملائكة تجاه المسجد الأقصى وهو اشارة إلى أنه صاحب الدين القويم والصراط المستقيم أو رؤية القبلة التى سيصلى اليها مدة ليعرفها كما عرف الكعبة (الذى باركنا حوله) البركة لغة الزيادة والنماء وعرفا ثبوت الخير الالهى فى الشىء (حوله) أى الجهات المحيطة به . ولما كان المسجد الاقصى لايشك فى بركته وشرفه لانه هو المشرف لما حوله نص على المتوهم ولانه اذا كان قد بارك الله تعالى فى لواحقه وتوابعه من البقاع لاجله كان مباركا فيه بالاولى . والمراد بركات الدين والدنيا . لانه موطن العبادات ومهبط الوحى والملائكة ومقر الانبياء ومحفوف

بالأنهار والأشجار والثمار . روى النسائى وابن ماجه وغيرهما أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى ثلاثاً : سأله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده فأعطاه إياه وسأله حكما يواطىء حكمه فأعطاه إياه وسأله أنه من أتى هذا البيت يريد بيت المقدس لا يريد إلا الصلاة فيه أن يخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه الثالثة . وروى أبو داود وابن ماجه عن ميمونة . قالت : قلت يارسول الله افتنا فى بيت المقدس ؟ قال : أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه فان صلاة فيه كألف صلاة فى غيره . قلت . أرأيت إن لم أستطع أن أصلى فيه ؟ قال فتهدى له زيتاً يسرج فيه ، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه (لنريه) اللام للعاقبة لا للتعليل لان أفعاله تعالى لا تعلل أى لنريه بعينه وقلبه (من آياتنا) أى عجائب قدرتنا الارضية والسماوية كما أرينا أباه ابراهيم الخليل عليه السلام ملكوت السموات والارض ، ولا يقال حينئذ أن من تقتضى التبعيض فتدل على أبلغية ما رآه سيدنا ابراهيم على ما رآه سيدنا محمد لان ملكوت السموات والارض من بعض آيات الله أيضا وآيات الله أعظم من ذلك وأكبر والذى أراه محمداً صلى الله عليه وسلم من آياته وعجائبه تلك الليلة كان أفضل وأبلغ من ملكوت السموات والأرض ، فظهر بهذا البيان فضل محمد ﷺ على ابراهيم عليه السلام (انه هو السميع البصير) بأقوال النبى ﷺ وأفعاله وأقوال من صدقه فيثيبه وأقوال من كذبه فيعاقبه . وقال بعض المحققين : ولا بعد فى أن يرجع

الضمير الى العبد وهو النبى ﷺ كما نقله أبو البقاء عن بعضهم قال انه هو السميع لكلامنا البصير لذاتنا ، أونقول السميع البصير بنا من باب : بى يسمع و بى يبصر فيكون فى ذكر الصفتين اشارة الى ماوقع له ﷺ فى ليلته من سماع الكلام والرؤية . فان قيل الإسراء والمعراج كانا فى ليلة واحدة فهلا أخبرهم بعروجه الى السماء مقرونا بالإسراء ؟ قلت استدرجهم الى الايمان أولا بذكر الاسراء ، فلما ظهرت أمارات صدقه وصحت لهم براهين رسالته واستأنسوا بذكر الاسراء بتلك الآية الخارقة أخبرهم بما هو أعظم منها وهو المعراج ، فحدثهم النبي صلى الله عليه وسلم به وأنزله الله تعالى فى سورة والنجم .

﴿ فصل فى تفسير آية المعراج ﴾

قال تعالى و بقوله يهتدى المهتدون (والنجم إذا هوى) أقسم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم و بذا فسره جعفر الصادق وقال يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم وهو به نزوله من السماء ليلة المعراج لأنه نجم الهدى . وقال ابن عباس : يعنى الثريا إذا غابت وسقطت والعرب تسمى الثريا نجماً . قال الامام نظام الدين الحسن النيسابورى فى تفسيره الذى لخص فيه التفسير الكبير للامام الرازى كما صرح بذلك أول تفسيره وزاد مافتح الله به عليه . و فائدة هذا القيد أن النجم إذا كان فى وسط السماء لم يهتد به السارى لانه لايعلم المغرب من المشرق والجنوب من الشمال . فاذا مال إلى الأفق عرف به هذه الجهات والميل الى أفق المغرب أولى بالذكر لأن

الناظر اليه حينئذ يستدل بغروبه وأفوله على أنه فى حيز الإمكان فيتم له اهتداء الدين مع اهتداء الدنيا اه وقيل القرآن إذا نزل على محمد صلى الله عليه وسلم نجوماً آية أو بعضها أو أكثر بعد الرسالة بحسب الوقائع (ماضل صاحبكم) عن طريق الهدى والخطاب لقريش بل هو صلى الله عليه وسلم مهتد راشد دال على الله تعالى وليس كما تزعمون من نسبتكم إياه إلى الضلال (وماغوى) أى وما مال أدنى ميل فإنه محروس من أسباب غواية الشياطين وغيرها ، والفرق بين الضلال والغى أن الضلال فعل المعاصى والغى هو الجهل عن اعتقاد فاسد (وماينطق) وهذا كالدليل على ماقبله أى كيف يضل ويغوى وهو ماينطق (عن الهوى) بما يأتيكم به من القرآن وكل أقواله وأفعاله . وذلك أنهم قالوا أن محمداً يقول القرآن من تلقاء نفسه (إن) أى ما (هو) أى منطوقه من القرآن وكذا كل أقواله وأفعاله وأحواله (إلا وحى) من الله تعالى (يوحى) أى يجدد إليه إيحاؤه من الله تعالى وقتاً بعد وقت كأن قائلا قال : فبماذا ينطق أعن الدليل أوالاجتهاد ؟ فقال لا و إنما ينطق عن الله بالوحى (علمه) أى علم محمداً صلى الله عليه وسلم (شديد القوى) أى جبريل عليه السلام . وحكمة كون الوحى بواسطة جبريل الرأفة بهذه الأمة المحمدية فإنه لونزل من حضرة الألوهية بلا واسطة لم يطيقوا النبى صلى الله عليه وسلم مع ذلك التجلى . ومن قوة جبريل أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذى هو تحت الثرى . وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها . وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين .

وكان هبوطه بالوحى على الأنبياء أسرع من رجعة الطرف (ذو مرّة) أى صاحب قوة وشدة فى الذهاب . وفائدة ذكرها مع قوله شديد القوى دفع المجاز فإنه ربما يتوهم أن يراد بالقوة الاولى أدنى مراتبها . وقال ابن عباس المرة المنظر الحسن (فاستوى) أى استقر سيدنا جبريل (وهو) أى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج (بالأفق الأعلى) أقصى الدنيا . وقيل المعنى استقام جبريل وظهر فى صورته التى خلق عليها لأنه كان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة الآدميين كما كان يأتى إلى الانبياء فسأله النبى صلى الله عليه وسلم أن يريه صورته التى جبله الله عليها ، فأراه صورته مرتين باذن الله ، مرة فى الأرض ومرة فى السماء ، وهذه الرؤية من خصائصه صلى الله عليه وسلم فلم يره أحد من الأنبياء على صورته التى خلق عليها إلا نبينا صلى الله عليه وسلم ، فأما التى فى الأرض فرآه نبينا (وهو) أى جبريل (بالأفق الأعلى) من الأرض وهو جانب المشرق عند مطلع الشمس ، وكان صلى الله عليه وسلم بغار حراء بكسر الحاء هو اسم جبل بمكة قريب من منى ، وهو الذى كان يخلو به عند المبعث يتعبد فيه الليالى ذوات العدد بالتفكر فى آلاء الله تعالى وبالنظر الى الكعبة واكرام من تمرُّ به حتى فجأه الحق وهو فيه ، وكان جبريل واعده أن يأتيه بحراء فخرج ليه صلى الله عليه وسلم وطلع له جبريل عليه السلام من المشرق ونشر إجناحاً أوجناحين من أجنحته فسد الأفق إلى المغرب ، فخر صلى الله عليه وسلم مغشياً عليه فنزل جبريل عليه السلام فى صورة الآدميين

وضمه الى نفسه حتى أفاق صلى الله عليه وسلم وسكن روعه وجعل يمسح التراب عن وجهه ، فلما أفاق قال ياجبريل ماظننت أن الله خلق أحداً على مثل هذه الصورة ، فقال يامحمد انما نشرت جناحين من أجنحتى وان لى ستمائة جناح سعة كل جناح مابين المشرق والمغرب ، فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا لعظيم ، فقال جبريل : وما أنا فى جنب خلق الله إلا يسير ، ولقد خلق الله إسرافيل له ستمائة جناح كل جناح منها قدر جميع أجنحتى وأنه يتضاءل أى يتصاغر أحياناً من مخافة الله حتى يكون قدر الوصع وهو بفتح الواو والصاد وتسكن طائر أصغر من العصفور . وأما المرة التى فى السماء فعند سدرة المنتهى كما سيأتى ان شاء الله تعالى .

(ثم دنا) أى رسول الله ﷺ الى الله دنوا رتبياً وترقى عن مقام جبريل وفى هذا المقام قال جبريل عليه السلام لو دنوت أنملة لاحترقت . وقد سئل أبو العباس بن عطاء عن هذه الآية ، فقال كيف أصف لكم مقاماً انقطع عنه جبريل وميكائيل واسرافيل ولم يكن إلا محمد و ربه عز وجل (فتدلى) أى هوى ﷺ للسجود بين يدى ربه أودنا جبريل من النبى صلى الله عليه وسلم بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض فتدلى على النبى صلى الله عليه وسلم أى زاد فى القرب (فكان قاب) أى قدر (قوسين) القوس الذى يرمى به (أو أدنى) أى أقرب من ذلك يعنى فكان محمد ﷺ من ربه فى أعلى نهاية القرب على مايليق به سبحانه وتعالى . ولما كان القرآن منزلا على أسلوب العرب وكانوا يقدرون بالقوس والذراع ونحوهما أخبر الله تعالى عن كمال قرب نبيه ﷺ منه بهذه العبارة الشريفة المتعارفة لهم

وان لم يكن فى قرب العبد من ربه مسافة حتى تقدر بقوس أوذراع ، أو الضمير راجع الى جبريل عليه السلام وأمر قربه ظاهر (فأوحى) أى الله (الى عبده) محمد ﷺ بلاواسطة جبريل عليه السلام ، أو بواسطة جبريل بعد القصة المتقدمة معه ﷺ (ماأوحى) من الاسرار . سئل أبو الحسن الثورى عنه فقال أوحى اليه سراً بسر من سر فى سر . وفى ذلك يقول القائل :

بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه
سر يمازجه أنس يقابله نور يخبره عن بعض مافيه

وقيل أوحى اليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمتك ، فالحمد لله الذى جعلنا من أمته ، ونسأله تعالى بجاه صاحب هذا المقام الأعلى ﷺ أن يميتنا على ملته ويحشرنا تحت لوائه وفى زمرته (ماكذب الفؤاد) أى ما كذب قلب النبى ﷺ (مارأى) وأبصر بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه أى ماقال فؤاده لما رآه بصره لم أعرفك لأن مارآه بعينه عرفه بقلبه ، والمرئى هوالله تعالى وقيل جبريل عليه السلام أو جميع مارآه تلك الليلة . وسيأتى بيان الرؤية ان شاء الله تعالى ، فلما أخبرهم النبى ﷺ كذبوه فنزل (أفتمارونه على مايرى) أى أفتجادلونه على مايرى ، وذلك أنهم جادلوه حين أسرى به وقالوا له : صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا فى الطريق . والمعنى أفتجادلونه جدالا تريدون به دفعه عما رآه وعلمه مما لاتفهمونه ولايمكنكم

معرفته وتصوره فكيف يمكنكم إقامة الحجج عليه ، وانما المجادلة حيث يمكن تصور الأمر المختلف فيه ثم الاحتجاج عليه بالنفى والاثبات فحيث لاتصور فلامجادلة حقيقة (ولقد رآه) أى رأى محمد ربه (نزلة) أى مرة (أخرى) فتكون الآية دالة على انه عليه الصلاة والسلام رأى ربه مرتين وقد روى ذلك عن ابن عباس وعلى هذا فقوله تعالى عند سدرة المنتهى حال من الضمير العائد عليه صلى الله عليه وسلم كما تقول رأيت الهلال عند الشجرة تريد أن رويتك للهلال وقعت وأنت عند الشجرة . أو رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل فى صورته التى خلق عليها مرة أخرى عند الرجوع من الحق (عند سدرة المنتهى) هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ينتهى اليها علم الملائكة ولا يعلم أحد ماوراءها وإليها ينتهى مايعرج من الأرض فيقبض منها واليها ينتهى مايهبط من فوقها فيقبض منها (عندها) أى السدرة (جنة المأوى) التى وعد بها المتقون وقيل جنة يأوى اليها أرواح الشهداء عن يمين العرش (إذ يغشى) أى يعلو ويغطى (السدرة مايغشى) أى الذى يغشاها وانما لم يصرح به سبحانه وتعالى اشارة الى أنه أمر لاتحيط به العقول فإن الذى غشيها حينئذ هو نور رب العزة فاستنارت لأنه صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الأنوار لكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت فاندك الجبل ولم تتحرك السدرة وخر موسى عليه السلام صعقا ولم يتزلزل سيدنا محمد ﷺ . وقيل غشيها فراش من ذهب ولما ثبت

ﷺ فى ذلك المقام العظيم الذى تحار فيه العقول و تزل فيه الاقدام و تميل فيه الابصار وصفه الله تعالى وصفا دالا على كمال أدبه وقوة فؤاده وبصره ووفور عقله و كثرة مراعاته لحق ربه فى ذلك المقام مع مافيه من تأكيد الرؤية و تقررها بقوله (ماراغ البصر وما طغى) أى ما مال بصر النبى ﷺ فى ذلك المقام وفى تلك الحضرة المقدسة الشريفة يمينا وشمالا ولا تجاوز مارأى بل اشتغل بمطالعة ذلك النور مع أن ذلك العالم غريب عن بنى آدم وفيه من العجائب مايحير الناظر هذا بالنظر لكون الذى غشيها نور الله تعالى أما بالنظر لكونه فراشا من ذهب فالمعنى لم يلتفت الى ماغشى السدرة من فراش الذهب وغشيان الفراش فى ذلك الوقت ابتلاء وامتحان * قال السهر وردى اخبر تعالى بحسن أدبه فى الحضرة بهذه الآية وهذه غامضة من غوامض الأدب اختص بها رسول الله ﷺ وسبق تنزيه علمه عن الضلال وعمله عن الغواية و نطقه عن الهوى وفؤاده عن التكذيب وهنا تنزيه بصره عن الزيغ و الطغيان مع تأكيد ذلك وتحقيقه بالأقسام ولطيف الاشارات و الكمالات و ناهيك بذلك من رب العزة جل جلاله * ولما كان انكار المشركين للاسراء بما فيه انكارا لم يقع لهم فى غيره مثله زاد فى التأكيد و رد عليهم فقال (لقد رأى) أى والله قد أبصر بما أهله الله له من الرسالة تلك الليلة أبصارا ساريا الى البواطن غير مقتصر على الظواهر (من آيات) أى علامات (ربه) المحسن اليه بما لم يصل اليه أحد قبله ولا بعده (الكبرى) أى العظام فرأى عجائب

الملكوت تلك الليلة فى سيره وعوده من الخوارق التى اعظمها رؤيته لربه ببصره .

﴿ فصل ﴾

(فى اثبات رؤيته صلى الله عليه وسلم للذات العلية)

قد أجمع جميع السادة الصوفية أولو المكاشفات القدسية على أن سيد البشر . رأى ربه بعين البصر وهو المختار عند المحققين من الصحابة والتابعين والمتقدمين والمتأخرين . قال النووى فى شرح صحيح مسلم والحاصل أن الراجح عندا كثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعينى رأسه ليلة الاسراء لحديث ابن عباس رضى الله عنهما وهذا قول أنس وعكرمة والحسن والربيع بن سليمان وجماعة من المفسرين * روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما . قال ان الله تعالى اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين بالرؤية وعن كعب أن الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام فكلم موسى مرتين ورأى محمد مرتين وقال القرطبى عند تفسير سورة الانعام اجتمع ابن عباس وابى بن كعب فقال ابن عباس امانحن بنو هاشم فنقول أن محمداً رأى ربه مرتين ثم قال اتعجبون ان الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ فكبر أبى بن كعب تكبيرة حتى جاوبته الجبال * وعن سيدنا الامام الشافعى رضى الله عنه وغيره أنه ﷺ رأى الله تعالى فى كل مرة من مرات المراجعة . قال بعض أهل العلم : وكان السر فى ترجيع موسى له ﷺ ليلة الاسراء اقتباس الانوار من

وجهه الشريف وان كان الحامل ظاهراً طلب التخفيف . قال بعض أهل الاشارات . لما سأل موسى الرؤية ولم تحصل له البغية بقى الشوق يقلقه والأمل يعلله ، فلما تحقق أن سيدنا محمدا الحبيب منح الرؤية وفتح له باب المزية أكثر السؤال ليسعد برؤية من قد رأى كما قال الوفائى :

والسر فى قول موسى إذ يراجعه ليجتلى النور فيه حين يشهده
يبدو سناه على وجه الرسول فيا لله حسن رسول إذ يراده

وقال بعضهم : لما جلس الحبيب فى مقام القرب دارت عليه كؤوس الحب ثم عاد وهلال (ما كذب الفؤاد ما رأى) بين عينيه و بشر (فأوحى الى عبده ما أوحى) ملء قلبه وأذنيه . فلما اجتاز بموسى عليه السلام قال لسان حاله لنبينا صلى الله عليه وسلم :

ياوارداً من أهيل الحى يخبرنى عن جيرتى شنف الأسماع بالخبر
ناشدتك الله يارأوى حديثهمو
حدث فقد ناب سمعى اليوم عن بصرى

فأجاب لسان حال نبينا صلى الله عليه وسلم يقول :

ولقد خلوت مع الحبيب و بيننا سر أرق من النسيم اذا سرى
وأباح طرفى نظرة أملتها فغدوت معروفا وكنت منكراً

وقال سيدنا الامام أحمد بن حنبل أنا أقول بما قاله ابن عباس رآه بعينه رآه بعينه رآه بعينه ، ولم يزل يكررها حتى انقطع نفس الإمام أحمد وكان يحلف : لقد رأى محمد ربه تعالى . وقال بعضهم : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه فرأى ربه ونظر عن يساره فرأى ربه ونظر

أمامه فرآى ربه ونظر فوقه فرآى ربه ونظر خلفه فرآى ربه فكره الانصراف من هذا المقام الشريف ، فعلم الله ذلك منه فقال يامحمد أنت رسولى الى عبادى ولو دمت على هذا المقام مابلغت رسالتى فانزل الارض و بلغ رسالتى لعبادى وحيثما قمت الى الصلاة أعطيتك هذه المرتبة فلذلك قال « وجعلت قرة عينى فى الصلاة» ، والجهات المذكورة إنما هى بالنسبة للرائى لا للمرئى ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ، فقد علم مما تقدم أن الصحيح ثبوت الرؤية ، وهو ماجرى عليه ابن عباس حبر الأمة وهو الذى يرجع اليه فى المعضلات وقد راجعه أبوعمرو فأخبره أنه رآه وأرسل اليه ابن عمر يسأله : هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟ فقال نعم . وحكى أبو اسحق أن مروان سأل أبا هريرة بمثل سؤال ابن عمر فقال نعم . وقال أبو الحسن على بن اسماعيل الأشعرى وجماعة من أصحابه أنه ﷺ رأى ربه ببصره وعينى رأسه . وإثبات هذا لايؤخذ إلا بالسماع من رسول الله ﷺ وهذا مما لايشك فيه ولا يقدح فى ذلك إنكار السيدة عائشة رضى الله عنها للرؤية محتجة بقوله تعالى (لاتدركه الابصار) لأنها لم تخبر أنها سمعت من رسول الله ﷺ أنه قال لم أر ونحوه ولو كان معها حديث يدل على نفى الرؤية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذكرته وانما اعتمدت على الاستنباط من الآية المذكورة . وجوابه أن الادراك هو الاحاطة والله تعالى لايحاط به ، واذا ورد النص بنفى الاحاطة لايلزم منه نفى الرؤية بغير احاطة معها . ومارُوى عنها من أنها قالت مافقدت جسده صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء . وفى رواية مافقد جسده بالبناء

للمجهول فهو حديث مكذوب عليها . وقال امام الشافعية أبو العباس بن سريج هذا حديث لايصح وانما وضع رداً للحديث الصحيح ، وقول عائشة رضى الله عنها بعدم وقوع الرؤية له صلى الله عليه وسلم لايوازى ماأثبته غيرها فانها إذ ذاك لم تكن ولدت أو لم تبلغ حد التمييز على أن غيرها كابن عباس مثبت والقاعدة أن المثبت مقدم على النافى حتى قال معمر بن راشد ماعائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ، فالحق أنه ﷺ رأى ربه تلك الليلة بعينى رأسه وهما فى محلهما فلاينبغى العدول عن هذا .

﴿ فصل فى رؤية العباد لله تعالى ﴾

رؤية الله تعالى جائزة عقلا فى الدنيا والآخرة لأن البارئ سبحانه وتعالى موجود وكل موجود يصح أن يرى ، فالبارئ عزوجل يصح أن يرى لكن لم تقع فى الدنيا لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وواجبة شرعاً فى الآخرة كما عليه أهل السنة والجماعة للكتاب والسنة والاجماع . أما الكتاب فكقوله تعالى « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » فقد روى عن أنس قال . سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال للذين أحسنوا العمل فى الدنيا الحسنى وهى الجنة ، وزيادة النظر الى وجه الرحمن جل جلاله ، وقوله (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) وقوله : (لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد) قال على بن أبى طالب وأنس بن مالك هو النظر الى وجه الله عزوجل ، فهذه الآيات منادية نداء صريحاً أن الله تعالى يرى عياناً بالأبصار فى الآخرة واذا جازت فى الآخرة جازت فى الدنيا لتساوى الوقتين بالنسبة الى المرئى . وأما السنة فكقوله

صلى الله عليه وسلم فيما روى البخارى وغيره « انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر » والتشبيه للرؤية فى عدم الشك والخفاء لا للمرئى . وأما الاجماع فهو أن الصحابة ومن بعدهم رضى الله عنهم كانوا مجمعين على وقوع الرؤية فى الآخرة . قال سيدنا الامام مالك رضى الله عنه لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الكافرون بالحجاب . قال تعالى : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وقال الامام الشافعى رضى الله عنه : لما حجب قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا . ثم قال : أما والله لو لم يوقن محمد بن ادريس بأنه يرى ربه فى الميعاد لما عبده فى الدنيا ، وهذا من كلام المتدللين ، نفعنا الله بهم و إلا فالله يستحق العبادة لذاته ، والرؤية متفاوتة على حسب أحوال العباد فالرؤية العامة تكون كل جمعة و بعض الخواص يراه كل يوم بكرة وعشية ، و بعضهم لا يزال مستمراً فى الشهود . قال أبو يزيد البسطامى إن لله خواص من عباده لو حجبهم فى الجنة عن رؤيته ساعة لاستغاثوا من الجنة و نعيمها كما يستغيث أهل النار من النار وعذابها ، ولكن يرونه منزهاً عن المقابلة و الجهة والمكان ، لأن الرؤية قوة يجعلها الله تعالى فى خلقه لا يشترط فيها اتصال الأشعة ولا مقابلة المرئى وان جرت العادة فى رؤية بعضنا بعضا بوجود ذلك على جهة الاتفاق لا على سبيل الاشتراط ولا يلزم من رؤيته اثبات جهة بل يراه المؤمنون لا فى جهة كما يعلمون أنه لا فى جهة * والرؤية أيضا نوع كشف وعلم للمدرك بالمرئى يخلقه الله تعالى عند مقابلة الحاسة له بالعادة فجائز أن يخلق الله تعالى هذا القدر بعينه من الادراك

بدون أن ينقص منه شيء من غير مقابلة لهذه الحاسة أصلا وكيف لا وهو واقع كما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (سووا صفوفكم فاني أراكم من وراء ظهري) وكما يرانا الله تعالى من غير مقابلة ولا جهة بالاتفاق فكذلك نراه فالرؤية نسبة خاصة بين طرفي راء ومرئي فكما لم تقتض عقلا كون احدهما في جهة لم تقتض كون الآخر في جهة وكما أن العلم ادراك وهم يعلمونه لا في مكان ولا في جهة فكذلك الرؤية نوع من الإدراك فهم يرونه كذلك والإدراك معنى يخلقه الله تعالى في المدرك فان خلقه في جزء العين سمي ابصارا أو في جزء القلب سمي علما أو في جزء الاذن سمي سمعا أو في اللسان سمي ذوقا أو في الأنف سمي شما أو في جميع الجسد سمي لمسا واختصاص خلقه بهذه المحال انما هو بمحض اختياره تعالى فلو اختار خلافه لكان كما اختاره تعالى واختصاص بعضها بكون المدرك في جهة وغير قريب جدا ولا بعيد جدا إنما هو بمحض اختياره تعالى ولو شاء لجعله يتعلق بالقريب جدا والبعيد جدا وبما ليس في جهة كتعلق العلم بها . ومن قال أن الحق تعالى يدرك عقلا ولا يدرك بصرا فجاهل لا علم له بحكم العقل ولا بحكم البصر ولا بالحقائق على ماهي عليه كالمعتزلة ومن تبعهم . ومن أقوى دليل على جهلهم سؤال موسى عليه السلام اياها بقوله (رب ارني انظر اليك) فانه يستحيل أن يخفى على نبي من انبياء الله تعالى انتهى منصبه الى أن يكلمه الله شفاها أن يجهل من صفات ذاته تعالى ما عرفه المعتزلة وهذا معلوم بالضرورة لأن المقصود من بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الدعوة الى العقائد الحقة والأعمال الصالحة والجهل بكونه ممتنع الرؤية عند الخصم يوجب

التكفير او التضليل إذ هو جهل بصفة ذاته لان استحالتها عندهم لذاته لانه ليس بجهة فكيف لم يعرف سيدنا موسى عليه السلام أنه ليس بجهة أو كيف عرف أنه ليس بجهة ولم يعرف أن رؤية ماليس بجهة محال فليت شعرى ماذا يضمر الخصم ويقدره من ذهول موسى عليه السلام أيقدره معتقدا أنه جسم فى جهة ذولون له وهذا اتهام واتهام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كفر صريح فإنه تكفير للنبى عليه السلام فان القائل بأن الله تعالى جسم لافرق بينه وبين عابد الوثن أو يقول علم استحالة كونه بجهة ولكنه لم يعلم أن ماليس بجهة فلا يرى وهذا أقبح تجهيل للنبى عليه السلام لان الخصم يعتقد أن ذلك من الجليات لامن النظريات فانت الآن أيها المسترشد مخير بين أن تميل الى تجهيل النبى عليه الصلاة والسلام أو إلى تجهيل المعتزلة فاختر لنفسك ماهو أليق بك والسلام . وأما قولهم أن سؤال موسى عليه السلام الرؤية لاجل جهلة قومه فمردود بأن النبى صلى الله عليه وسلم لايجوز له تأخير رد الجاهل فى مثل هذا اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب عليه أن يجهلهم ويزيل شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) فقال (انكم قوم تجهلون) وقد حكاها الله تعالى عنه ولم يحك عنه حين سألوه الرؤية انه منعهم مع أن سياق الآية والوضع العربى فى قوله (أرنى) أى أنا (انظر) أنا (ولن ترانى) أنت (ولكن انظر) أنت يأبى ذلك كله من كون السؤال لغيره ومن أقوى دليل على جواز رؤيته قوله تعالى (لن ترانى) لانها لوكانت ممتنعة لقال لن تصح رؤيتى أولاأرى ألا ترى أن من كان فى منديله تراب مثلا فظنه إنسان طعاما فقال

اعطنى هذا لآكله كان جوابه الصحيح هـذا لايؤكل وان كان طعاما فجوابه الصحيح أنك لاتأكله . وقولهم ان كلمة لن تفيـد التأكيـد فيكون نصا فى أن موسى عليه السلام لايراه فى الدنياوالآخرةممنوع لانها لو كانت للتأبيد لزم التناقض بذكر اليوم فى قوله تعـالى (فلن اكلم اليوم انسيا) ولزم التكرار بذكر أبدا فى قوله تعالى فى شأن اليهود (ولن يتمنوه ابدا * ولن ندخلهـا ابدا) لانها لو كانت للتأبيد لما صح أن يقول بعده أبدا لانه معلوم من لن والقرآن فى أعلى طبقات البلاغة فلا يصح أن يؤتى فيه بكلمة زائدة بلا فائدة . والقول بأنه للتأكيد صرف للـكلام عن أصله بلا دليل . ثم استدرك ليبين أن تأخير الرؤية لالامتناعها بل لانه لايطيقها فقال (ولـكن انظر الى الجبل) أى الذى هو أقوى منك اذا تجليت له ورفعت الحجاب عنه (فان استقر مكانه) ولم يندك فى الارض بأن يجعل الله له قوة على ذلك (فسوف ترانى) وأيضـا فى تعليق الرؤية بالاستقرار دليل على جوازها لأن الله تعالى علقها على جائز عقلا وهو استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز لأن معنى التعليق الاخبـار بأن المعلق يقع على تقدير المعلق عليه والمحال لايقع عـلى شىء من التقادير فلو لم تكن الرؤية جائزة لزم الخلف فى خبره تعالى وهو محال وأما احتجاجهم بقوله تعـالى (لاتدركه الأبصار) فهو مردود بأن النفى فى الآية ليس عاما فالسلب فيها من سلب العموم كما هو معلوم فى فن المعقول حيث وقع فيها المستدالية وهو الإبصار جمعا محلى بالالف واللام فهو من صيغ العام والسلب اذا دخل على عام أفاد سلب عمومه لاعموم السلب لـكل فرد من أفراده وهذا مطرد

فى السالبة . وقد يكون فى القضية الموجبة أيضا ألا ترى قوله عليه الصلاة والسلام (الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا) ولاشك فى شمول لفظ الناس للأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أنهم غير مرادين لانهم أنبه الناس وايقظهم . ويؤخذ من هذا الحديث أنهم اذا ماتوا عن حظوظهم الفانية واختياراتهم انكشفت لهم الاستار عن عالم الانوار . بل هذه الآية دليل لنا بطريق الاشعار حيث نفى الحق تعالى ادراك عموم الابصار . فاقتضى تخصيصه فى الدنيا بحبيبه المختار . وفى الآخرة بالمؤمنين الاخيار . ولئن سلم عموم النفى فهو مردود أيضا بأن الإدراك ليس مطلق الرؤية بل معنى لاتدركه الابصار لاتحيط كما أن العقول لاتحيط به . فالنصوص الدالة على نفى الرؤية مقيدة بنفى الاحاطة ولا يلزم منها نفى الرؤية بغير إحاطة معها فاذا علمت ذلك علمت أن الله تعالى يرى من غير الكيفيات المعتبرة فى رؤية الاجسام ومن غير إحاطة بل يحار العبد فى العظمة والجلال حتى لا يعرف اسمه ولا يشعر بمن حوله من الخلائق فان العقل يعجز هنالك عن الفهم ويتلاشى الكل فى جنب عظمته تعالى لأن رؤية الحق سبحانه وتعالى تسكر عقول الرائين من تمام لذتها أذاقنا الله حلاوتها وكل من آمن بها

﴿ فصل فى الرؤية القلبية والمنامية للذات العلية والحضرة النبوية ﴾

اعلم أن رؤيته تعالى هى المقصودة بالذات للمحبين . فاشتياقهم للجنة إنما هو لكونها محلالها لا لذاتها وهى التى تقطعت لأجلها أكبادهم . واحترقت شوقا إليها قلوبهم . فظمؤهم إلى لذيذ لقائه لا يخفى . ولهيب قلوبهم إلى مشاهدة جماله لا يطفى . وهم الذين قال قائلهم * ليس قصدى

من الجنان نعيما * غير أنى أريدها لأراك * قالت رابعة العدوية مع أنها امرأة وعزتك ما عبدتك خوفا من نارك ولا رغبة فى جنتك بل كرامة لوجهك الكريم ومحبة فيك . ومقالاتهم فى ذلك كثيرة . ومن حكاياتهم أن رجلا من أهل البصرة بكى لشوقه حتى ذهبت عيناه ثم قال إلهى إلى متى لا ألقاك فبعزتك لو كانت بينى وبينك نار تلتهب ما رجعت عنك بعونك وتوفيقك حتى أصل إليك ولا أرضى منك بدونك ومنها ماقيل أن شعيبا عليه السلام بكى مائة عام حتى ذهب بصره فرده الله عليه فبكى مائه أخرى حتى ذهب بصره فأوحى الله تعالى إليه ياشعيب ماهذا البكاء إن كان خوفا من نارى فقد أمنتك منها وإن كان شوقا إلى جنتى فقد أبحتك إياها فقال وعزتك وجلالك يارب ليس بكائى شوقا إلى جنتك ولا خوفا من نارك ولكن عقد حبك فى قلبى عقدة لايحلها إلا النظر إلى وجهك الكريم فقال الله تعالى إذا كان بكاؤك لذلك فلأبيحنك النظر إلى وجهى . والسبب فى هذا الشوق أن الله خلق الأرواح قبل الاجسام بألفى عام فكانت حينئذ فى جوار الحق وقرب فتستفيض من حضرته بلا واسطة فلما فصلها الحق من أصلها وتغربت عن وطنها تعشقت الى أصلها وتعطشت الى سيدها ولما علم سبحانه وتعالى هذه الحال التى تكون عليها اودع فى القلوب استعدادا لرؤية جماله وجعل القلب كمرآة لها وجهان ظاهرها كثيف مظلم وباطنها لطيف مضىء فلو قابلها من الكائنات ما قابلها أريته ممثلا فيها على ما هو عليه مع صغر جرمها حتى لوكان المرئى جملا بل جبلا أريته بكل أجزائه فيها من غير حلول فيها ولا اتصال بها ولا تحيز

فى شىء منها فكذلك الحق سبحانه وتعالى إذا تجلى على قلب عبده المؤمن يشاهده بعين قلبه ويجتليه ببصر بصيرته من غير حلول ولا اتصال ولا انفصال بل ظهوره تعالى فى مرآة القلب أولى فانه اذا لم تضق مرآة القلب عن الأجرام كلها مع كونها من المقدرات والمكيفات فكيف تضيق عمن لا كيف ولا مقدار له . واعلم أن وسيلة القرب إلى الله والظفر بسعادة مرآة القلب بتجلية فقد حس الاشياء من القلب وهدو الضمير اليه تعالى فهذا طهور للقلب عما سوى الله تعالى وإذا تطهر عما سواه رآه حاضراً معه فعرف حينئذ قربه الحقيقى المنزه عن الأينية والكيفية بل عرف اقربيته معرفة تزرى برؤية البصر لأنه ليس بين العبدو ربه إلاحجاب نفسه وعوارضها فاذا فنى عن نفسه وعن عوارضها بان له ما ذكرناه اذ كل ذرة من بدن الانسان بل والعالم بأسره قدتعلق العلم بها كشفا والإرادة تخصيصاوالقدرة إيجاداً وإبقاء والصفات لاتفارق الموصوف بل صفاته قائمة بذاته فالموصوف تعالى اذاً مع الأشياء كلها معية ذاتية منزهة عما لا يليق به سبحانه من لوازم الامكان والحدوث ولهذا السر الغامض أشار الله تعالى بقوله (ونحن أقرب إليه منَ حبل الوريد) وقوله (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون) فأنت إذا أخذت بالوسيلة التى ذكرناها كنت من العارفين الذين يرون ربهم فى الدنيا بعين الإيقان والبصائر ويرونه فى الأخرى بالأبصار رأى العين فهو قريب منهم فى الدارين وليس قربه فى الأخرى مخالفا لقربه فى الدنيا إلابمزيد اللطف والعطف وإلافقد ارتفع هنا وهناك قرب المسافة ولم يكن بينه وبين مخلوق إضافة لا فى الدنيا ولا فى الآخرة

وكان سيدى ابن أبى جمرة يقول إذا كان المؤمن إذا مات يرى الله تعالى فهؤلاء أى أهل الله تعالى يموت الواحد منهم فى كل اليوم سبعين مرة فكيف لا يرونه فى الدنيا ومراده الرؤية القلبية التى بعين البصيرة لا بالبصر وقال ابن الفارض رضى الله عنه

أنلنا مع الأحباب رؤيتك التى إليها قلوب العارفين تسارع

(ومنه قوله)

وأباح طرفى نظرة أملتها فغدوت معروفا وكنت منكراً

عنى بالطرف فيه (القلب) وسماه طرفا تجوزاً . وأما قوله

وإذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح ولا تجعل جوابى لن ترى

فمما يفيد عدم حصولها له ، وأجيب بأن البيت الأول كان متأخراً عن هذا البيت فلعله أدرك ماسأل عنه أولا ، وقوله (ولا تجعل جوابى لن ترى) يفيد علو مقامه عن موسى ، فالجواب أنه لا يقتضى ذلك لأنه سأل الرؤية القلبية . ومنه قول على كرم الله وجهه :

نظرت ربى بعين قلبى فقلت لاشك أنت أنت

ومنه أيضاً :

كبر العيان علىّ حتى أنه صار اليقين من العيان توهماً

وعلامة صدق من يرى الله تعالى بقلبه فى هذه الدار أن يراه من سائر الجهات الست من غير ترجيح لأحدى الجهات على بعضها . وقال الشيخ عبد القادر الجيلى : لم يبلغنا وقوع رؤية الله عزّوجل يقظة فى الدنيا لأحد غير رسول الله ﷺ ، فقيل له إن فلانا يزعم أنه يرى الله

تعالى بعين رأسه ، فأرسل الشيخ خلفه وقال له : أحق مايقول هؤلاء عنك ؟ فقال نعم ، فانتهره الشيخ وزجره عن هذا القول وأخذ عليه العهد أن لايعود إليه ، فقيل للشيخ : أمحق هذا الرجل أم مبطل ؟ فقال هو محق ملبس عليه ، وذلك أنه شهد ببصيرته نور ذلك الجمال الرفيع ، ثم خرق من بصيرته إلى بصره منفذ فرأى ببصره بصيرته حال اتصال شعاعها بنور شهوده ، فظن أن بصره الظاهر رأى ماشاهدته بصيرته ، وإنما رأى بصره حقيقة بصيرته فقط من حيث لايدرى ، قال تعالى : « مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان » وكان جمع من المشايخ حاضرين فأعجبهم هذا الجواب : « وأما رؤيته تعالى فى المنام فقد أجمع علماء التعبير على جوازها . قال أهل العلم : خير الرؤيا أن يرى العبد ربه فى منامه أو يرى نبيه أو يرى أبويه إن كانا مسلمين » . وقال أبوهريرة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لم يبق من النبوة إلا المبشرات ، قالوا وما المبشرات ؟ قال الرؤيا الصالحة » رواه البخارى وقد رآه جماعة من العلماء الأعلام ، فنقل أن الامام أبا حنيفة ، قال : رأيت ربى فى المنام تسعاً وتسعين مرة ، ثم رآه أخرى تمام المائة » وقصتها طويلة لايسعها هذا المقام . وروى عن الامام أحمد أنه قال : « رأيت ربى فى المنام تسعاً وتسعين مرة فأقسمت بعزته إن رأيته تمام المائة لأسألنه ، فرأيته ، فقلت يارب بماذا يتقرب إليك المتقربون ؟ قال بتلاوة كلامى ، فقلت يارب بفهم أو بغير فهم ؟ قال ياأحمد بفهم أو بغير فهم » . وروى عن أحمد بن حضرويه أنه قال : « رأيت رب العزة فى المنام فقال ياأحمد

كل الناس يطلبون منى إلا أبا يزيد فانه يطلبنى » ولاينبغى لمسلم أن يتوقف فى رؤية الله تعالى فى المنام لأنه لاشىء فى الأكوان أوسع من عالم الخيال ، وذلك أنه بحكم بحقيقته على كل شئ وعلى ماليس بشىء ، ويصور لك العدم المحض والمحال والواجب فضلا عن الممكن ويجعل الوجود عدماً والعدم وجوداً ويريك العلم لبناً والاسلام قبة والثبات فى الدين قيداً والدين قميصاً لما روى أبو أمامة ابن سهل أنه سمع أبا سعيد الخدرى يقول ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون على وعليهم قمص منها مايبلغ الثدى ، ومنها مايبلغ دون ذلك ، ومرَّ علىَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره ، قالوا ما أولت يارسول الله ؟ قال الدين » رواه البخارى فالدين لاشكل له ولاصورة ، ولكن جعل القميص له مثالا ، فعلم أنه لايلزم من كون الشئ لاصورة له أن لايرى فى صورة ، ألاترى أن كثيراً من الأشياء التى لاأشخاص لها ولاصورة ترى فى المنام بأمثلة تناسبها كما يمثل القرآن باللؤلؤ والهدى بالنور والضلالة بالعمى . ومن قال بمنع رؤيته تعالى فى المنام لكونه إذا رآه النائم يكون مصوراً لامحالة ولا صورة للرب ولا مثل ولامثل لظنه أن المثل بفتحتين كالمثل بكسر الميم وسكون المثلثة فقد أخطأ فان المثل بالسكون يستدعى المساواة فى جميع الصفات كالسوادين والجوهرين ويقوم كل واحد منهما مقام الآخر من جميع الوجوه فى كل حال بخلاف المثل بفتحتين فانه لايشترط فيه المساواة من كل وجه وانما يستعمل فيما يشاركه لأدنى وصف قال تعالى « إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء » والحياة

لاصورة لها ولاشكل والماء ذوشكل وصورة وكذلك قوله تعالى « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » وغير ذلك فعلم أنه لامثل لله ولكن (له المثل الأعلى فى السموات والأرض) فمن رآه على وجه لايستحيل عليه تعالى فهو هو تعالى وإلا بأن كان بصورة رجل مثلا فان أمر الرائى بما يخالف الشرع كأن قال له أسقطت عنك التكليف فهو الشيطان وان لم يأمر بما يخالف الشرع فهو رسول من عند الله ويقال حينئذ أنه رأى ربه فى الجملة لحكمة تظهر عند المعبرين بأن يقولوا تدل على كذا وكذا . وقيل هو الرب أيضا وكونه جسما إنما هو باعتبار ذهن الرائى وأما فى الحقيقة فليس تعالى كذلك لأن النائم يرى فى النوم تصور المعانى فى الصور المحسوسة وتجسد ما ليس من شأنه أن يكون جسداً فما ثم أوسع من الخيال إذا علمت ذلك تعلم أن الشيطان قد يتمثل بالمولى جل جلاله وأما النبى صلى الله عليه وسلم فلا يتمثل به الشيطان . والفرق أن الله ليس كمثله شئ فتمثل الشيطان به لا يضر فى العقيدة وأما النبى ﷺ فانه بشر فلو تمثل به الشيطان لأفسد الدين . ومن رآه فى نومه ﷺ فقد رآه حقيقة كما روى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال قال ﷺ (من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثل بى ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) ومعنى قوله فقد رآنى أى رأى حقيقة جسمى ورحى وصورتى معاً وذلك لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تبلى أجسادهم ولاتتغير صورهم وهم فى قبورهم يصلون كما جاءت به الأحاديث . ولو رئى على غير صورته الأصلية فانما ذلك يختلف باختلاف أحوال الرائين له ﷺ

بحسب استقامتهم على شريعته فعلم أن الرائى لرسول الله ﷺ على تلك الصور والأشكال المختلفة راء له حقيقة فان تلك الصور كلها أمثلة خيالية والمرئى بواسطتها هو النبى ﷺ وهذا كما يقول الانسان رأيت وجهى فى الماء ، ومعلوم قطعاً أن وجهه ليس منتقلا إلى الماء حتى رآه فيه وإنما معناه رأيت حقيقة وجهى بواسطة مثاله فى الماء فيكون المثال واسطة لا يلتفت اليه إذ لا حقيقة له حتى يكون مرئياً لذاته وانما هو هيئة يريك الله تعالى وجهك بواسطتها وذلك من عجائب قدرته التى تكل الأفهام عن إدراكها وأكثر ما تقع رؤية النبى ﷺ يقظة بالقلب ثم تترقى إلى رؤية البصر ونقل عن الحافظ السيوطى أنه كان يقول رأيته ﷺ فى اليقظة بضعا وسبعين مرة فقلت له فى مرة منها هل أنا من أهل الجنة يارسول الله فقال نعم فقلت من غير عذاب يسبق فقال لك ذلك. وليست رؤية النبى ﷺ كرؤية الناس بعضهم بعضا وإنما هى جمعية خيالية برزخية وأمر وجدانى لا يدرك حقيقته إلا من باشره

﴿ فصل فى الشفاعة ﴾

إعلم أن شفاعة نبينا ﷺ يوم القيامة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة من سلف وخلف ولا ينكرها إلا شقى غبى مخالف للكتاب والسنة والاجماع * ولا يشك فيها غير الفرق الضالة قال تعالى وهو أصدق القائلين (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) اتفق المفسرون على أن كلمة عسى من الله واجب قال أهل المعانى لأن لفظة عسى تفيد الاطماع ومن أطمع إنسانا فى شىء ثم حرمه كان عاراً . والله أكرم من أن يطمع أحدنا فى شىء ثم لا يعطيه ذلك وأما المقام المحمود فقال الواحدى أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة * وقد وردت الأخبار الصحيحة فى تقرير هذا المعنى كما فى

البخارى من حديث ابن عمر قال سئل رسول الله ﷺ عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة * وفيه أيضا عنه قال رسول الله ﷺ (إن الناس يصيرون يوم القيامة جثًى أى جماعات كل أمة تتبع نبيها يقولون يافلان اشفع لنا حتى تنتهى الشفاعة إلىَّ فذلك المقام المحمود) و قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) هذه الآية تدل على صحة الشفاعة للمذنبين من المؤمنين بمفهومها لأن تخصيص هؤلاء بأنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين يدل على أن غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين إذ لو لم تكن ثم شفاعة أصلا لم يبق لنفيها عن خصوص الكفار فى مقام تقبيح حالهم معنى . وقال تعالى (من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه) أى إلا بأمره و إرادته وذلك أن المشركين زعموا أن الاصنام تشفع لهم بغير إذنه وممن نص على ذلك الزعم ابن القيم فى مفتاح دار السعادة وهذه هى الشفاعة الشركية التى يعتقدها المشركون فأخبر الله أن لا شفاعة لأحد عنده إلا ما استثناه بقوله إلا باذنه وقال تعالى . (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أى لمن هو مرضى عند الله وهو من قال لا إلا الا الله ولو كان فاسقا لأنه مرضى من جهة الايمان والعمل الصالح وإن كان مبغضا من جهة الذنوب والعصيان بخلاف الكافر فإنه ليس بمرضى مطلقا لعدم الأساس الذى تبنى عليه الحسنات وهو الايمان واما قوله تعالى (واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا ولايقبل منها شفاعة) فنقول ان الآية مخصوصة بالكفار ويؤيد هذا أن سياق الخطاب معهم قال تعالى حاكيا عنهم (فما لنا من شافعين) أى كالمؤمنين يشفع لهم الملائكة والمؤمنون والاية نزلت رداً لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم . وأما قوله تعالى (فما للظالمين من حميم

ولا شفيع يطاع) فنقول المراد بالظالمين الكفار فإن الظالم على الإطلاق هو الكافر قال تعالى (أن الشرك لظلم عظيم) وأما قوله تعالى (إنك من تدخل النار فقد أخزيته) فنقول الآية خاصة بالكفار بدليل قوله فى آخر الاية (وما للظالمين من أنصار) وإن سلم أن الآية فى عصاة الموحدين فالمراد باخزائهم احجالهم من خزى إذا استحى ونفى النصرة لا يستلزم نفى الشفاعة لأنها طلب مع خضوع والنصرة تبنى على المدافعة والممانعة والاستيلاء فيجب على كل مسلم أن يعتقد ويقر بشفاعته ﷺ لأن من أنكرها يخشى ألا ينالها ولا تناله (جزاء وفاقا) لما أخرج سعيد بن منصور وهناد عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (من كذّب بالشفاعة فلا نصيب له فيها ومن كذب بالحوض فليس له فيه نصيب) وأخرج البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه خطب فقال أنه سيكون فى هذه الأمة قوم يكذبون بالرجم وبالدجال ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها ويكذبون بعذاب القبر ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشو أى احترقوا وأخرج البيهقى عن أنس رضى الله عنه أنه قيل له إن قوما يكذبون بالشفاعة قال لا تجالسوا أولئك * وعن شبيب بن أبى فضالة المكى قال ذكروا عند عمران بن حصين الشفاعة فقال رجل يا أبا نجيد إنكم لتحدثوننا أحاديث لم نجد لها أصلا فى القرآن فغضب عمران وقال للرجل أقرأت القرآن قال نعم قال فهل وجدت صلاة العشاء أربعا وصلاة المغرب ثلاثا والغداة ركعتين والظهر أربعاً والعصر أربعاً قال لا قال فعمن أخذتم هذا ألستم عنا أخذتموه وأخذناه عن نبى الله ﷺ وفى كل أربعين درهما درهم وفى كل كذا شاة وفى كل كذا بعير أوجدتم فى القرآن هذا قال لا قال

ووجدتم فى القرآن (وليطوفوا بالبيت العتيق) أوجدتم طوفوا سبعاً واركعوا ركعتين خلف المقام أوجدتم هذا فى القرآن عمن أخذتموه ألستم أخذتموه عنا وأخذناه عن رسول الله ﷺ قالوا بلى قال فان الله تعالى قال فى كتابه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وإنا قد أخذنا عن رسول الله ﷺ أشياء لم يكن لكم بها علم أخرجه البيهقى والحاكم أيضا وأخرج البزار والطبرانى فى الأوسط وابو نعيم بسند حسن عن على ابن أبى طالب أن رسول الله ﷺ قال (أشفع لأمتى حتى يناديني ربى تبارك وتعالى أرضيت يامحمد فأقول إى رب رضيت) وأخرج الامام أحمد والطبرانى والبيهقى بسند صحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (خيرت بين الشفاعة و بين أن يدخل نصف أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخاطئين الملوثين) واخرج الامام احمد والبيهقى والطبرانى فى الاوسط عن بريدة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (انى أشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من شجر ومدر) وأخرج أبو داود والترمذى والحاكم والبيهقى وصححوه عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى) وأخرج الطبرانى وأبو نعيم عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال (نعم الرجل أنا لشرار أمتى) قيل كيف يارسول الله قال (أما شرار أمتى فيدخلهم الله الجنة بشفاعتى وأما خيارهم فيدخلهم الجنة بأعمالهم) واعلم أن الرسل والأنبياء والملائكة والصحابة والشهداء والصديقين والأولياء والعلماء والمؤذنين على اختلاف مراتبهم ومقاماتهم عند ربهم يشفعون قال رسول

الله ﷺ (أنا أول شافع وأول مشفع) وأخرج الترمذى والبيهقى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وخطيبهم اذا أنصتوا وقائدهم إذا وفدوا وشافعهم إذا حبسوا ومبشرهم اذا أيسوا لواء الكرم بيدى ومفاتيح الجنة يومئذ بيدى وأنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربى ولا فخر يطوف على ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون) وأخرج ابن ماجه والبيهقى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء) وأخرجه البزار وفى آخره ثم المؤذنون . وأخرج الطبرانى فى الكبير والبيهقى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليدخلن الجنة قوم من المسلمين قد عذبوا فى النار برحمة الله وشفاعة الشافعين) وأخرج الطبرانى فى الاوسط عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يشفع الله آدم يوم القيامة من جميع ذريته فى مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف) وأخرج الديلمى من حديث ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا (يقال للعالم اشفع فى تلامذتك ولو بلغ عددهم نجوم السماء) وأخرج أبو داود وابن حبان عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (الشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته) وأخرج الترمذى والحاكم وصححاه والبيهقى عن عبد الله بن أبى الجدعاء قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم ، قالوا سواك يارسول الله ؟ قال سواى » قال الفريابى : يقال إنه عثمان بن عفان رضى الله عنه . وأخرج الترمذى وحسنه والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ، قال رسول الله

ﷺ « إن من أمتى لرجالا يشفع الرجل منهم فى الفئام من الناس فيدخلون الجنة بشفاعته و يشفع الرجل منهم للقبيلة فيدخلون الجنة بشفاعته و يشفع الرجل منهم للرجل وأهل بيته فيدخلون الجنة بشفاعته » والفئام ككتاب الجماعة الكثيرة . والحاصل أن للناس شفاعات بقدر أعمالهم وعلو مراتبهم والأسلام يشفع لأهله ، والقرآن يشفع لأهله ، والحجر الأسود يشفع لمستلمه ، وكذا الصدقات وسائر أنواع الطاعات تمثل يوم القيامة وتشفع لصاحبها . واعلم أن للنبى ﷺ شفاعات « الأولى » الشفاعة العظمى التى يشفع فيها لأهل الموقف حتى يقضى بينهم لما روى البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ قال « أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد يُسْمِعُهم الداعى و يَنْفُذُهم البصر وتدنو منهم الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يتحملون فيقول الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ماقد بلغكم ، ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض أبوكم آدم ، فيأتونه فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ، ألا تشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى مانحن فيه ومابلغنا فيقول إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه نهانى عن الشجرة فعصيت ، نفسى نفسى ، اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح ، فيحيلهم على إبراهيم وابراهيم على موسى وموسى على عيسى وعيسى يقول اذهبوا إلى غيرى ، إذهبوا إلى محمد فيأتونى فيقولون يامحمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى

مانحن فيه فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلى ، ثم يقال يامحمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأقول أمتى يارب فيقال يامحمد أدخل من أمتك من لاحساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال والذى نفسى بيده إن مابين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أوكما بين مكة وبصرى » وهذه الشفاعة العامة التى خص بها نبينا ﷺ من بين سائر الأنبياء ﴿ الثانية ﴾ الشفاعة فى إدخال قوم الجنة بغير حساب . قال القاضى عياض والنووى وهى مختصة به ﷺ ، روى البخارى ومسلم من طرق عن النبى ﷺ « يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، فقال رجل : يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال اللهم اجعله منهم » والرجل عكاشة ﴿ الثالثة ﴾ الشفاعة لقوم استوجبوا النار ، فيشفع فيهم نبينا ﷺ قال « خيرت بين الشفاعة و بين أن يدخل نصف أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكثر ، ترونها للمؤمنين المتقين لا ولكنها للمذنبين الخاطئين الملوثين » رواه ابن ماجه ﴿ الرابعة ﴾ الشفاعة فيمن دخل النار من المذنبين . أخرج البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ و يدخلون الجنة و يسمون الجهنميين » وأخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة » ﴿ الخامسة ﴾ الشفاعة فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها وهى ثابتة بإجماع المسلمين حتى قال بها المعتزلة ولم ينكرها

أحد منهم لأن النبي ﷺ يكون فى الجنة من الله تعالى بمنزلة الوزير من الملك بغير تمثيل لا يصل إلى أحد شيء إلا بواسطته ﷺ . عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أول الناس يشفع فى الجنة » رواه مسلم أى فى شأن الجنة ونعيمها وما يتعلق بها ، ومنه رفع الدرجات .

﴿ خاتمة ﴾

الصلاة على رسول الله ﷺ مطلوبة فليكثر المؤمن فى غالب أوقاته منها وليواظب عليها ولا يغفل عنها خصوصاً يوم الجمعة فى كل أسبوع فقد ورد الأمر به عن أوس فى حديثه المرفوع . ومن العلماء من أوجبها فى الصلاة . ومنهم من استحبها فيها . ومن سأل الله تعالى شيئا فليبدأ بحمده والثناء عليه ثم يصلى على من تحرك الساكن ونطق الصامت بين يديه ، فهو أجدر بنجح المقال ، وأحرى بالإجابة للسؤال ، والدعاء بين الصلاتين عليه لا يرد ولا يطرد عن باب القبول ولا يصد . وما من دعاء إلا وهو دون السماء محجوب ، فاذا اقترن بالصلاة عليه صعد وسعد بالمطلوب ، ومواطن الصلاة عليه عند ذكره ، وحين سماع اسمه وحديثه النامى ذربحره وفى الأواخر من الكتب بعد الأوائل ، وكذا الأذان ودخول المسجد وفى الرسائل ، فرغم أنف امرئ لم يصل عليه ﷺ اذا ذكر عنده وحسب المصلى عليه أن الملائكة تستغفر له وتشكر قصده . ومن صلى عليه صلاة صلى الله عليه عشر صلوات ، وحط عنه عشر خطيئات ، ورفع له عشر درجات ، وكتب له عشر حسنات ، وصلت عليه الملائكة الكرام ، ومن سلم عليه حياه السلام بالسلام . ومن أكثر من الصلاة عليه كفى وغفر ذنبه ، ويجيء يوم الآزفة وقد فرّ عنه كربه ، ومن صلى عليه فى كتاب

فاز بجزيل الثواب ، ولم تزل الملائكة تستغفر له مابقى اسمه فى ذلك الكتاب ومن سلم عليه عشراً فكأنما أعتق رقبة ، والصلاة عليه تمحو ما أسلفه المصلى من الذنوب وا كتسبه ، والمكثر من الصلاة عليه أولى الناس به يوم القيامة ، ومامن أحد يسلم عليه إلا رد الله روحه حتى يرد سلامه ، ومن صلى عليه عند قبره الكريم سمعه ، ومن صلى عليه بعيدا بلغه والله تعالى ملائكة سياحون تبلغه السلام عن أمته واليوم الأزهر وليلته الزهراء يؤديان إليه صلاة أهل ملته ، فأكثر من الصلاة عليه فانها عليك مفروضة ، وصل عليه حيثما كنت فان صلاتك عليه معروضة ، والبخيل من ذكر عنده فلم يصل عليه صلى الله عليه ، وأنزله المنزل المقرب لديه . اللهم آته الوسيلة والفضيلة وأنله الدرجة العالية الجليلة ، وابعثه المقام المحمود ، وأبجز فى القيامة له الموعود وأكرم مثواه ونزله ، وحقق من فضلك العظيم أمله وتقبل شفاعته الكبرى ، وبلغه بنظرك اليه غاية البشرى وقر له عيون عنايتك تقجيرا ، واجعل له من لدنك سلطاناً نصيرا . اللهم صل على سيدنا محمد المختار ، وعلى أهل بيته الأطهار ، وعلى آله وأولاده وأصحابه ، وعلى أزواجه وخاصته وأحبابه ، وعلى الأنصار والأعوان ، وعلى التابعين لهم باحسان ، صلاة مقرونة بالتسليم والتفضيل ، مشتملة على التكريم والتشريف والتعظيم والتبجيل . آمين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

﴿ تتمة ﴾

قد ختم شيخنا قدس الله سره كتابه هذا بكلمات نفيسة بفضل الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ كلها قد جاءت فى الاحاديث الثابتة عنه عليه الصلاة والسلام ولقلة العلم فى هذا الزمان لاسيما بالسنة السنية قد رأينا أن

نتمم هذه الخاتمة بذكر هذه الاحاديث معزوة إلى مخرجيها أو المشاهير منهم مع نبذة يسيرة من أسرار مشروعية الصلاة عليه ﷺ ليكون المصلى على نبيه على بصيرة غير مقلد، وليستكثر منها ما استطاع وهو منشرح الصدر مطمئن القلب ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إعلم أن معنى قولك اللهم صل على سيدنا محمد يا الله أنزل عليه من لدنك رحمة لائقة بمقامه وأن المقصود الأعظم من مشروعيتها هو تمام شكر الله المطلوب منا له عز وجل فانه لم يقم بشكر الله من لم يشكر من أجرى النعمة على يديه، ألا تراه سبحانه قد قال « أن اشكر لى ولوالديك » فلما كانا سبباً فى الوجود الجسمانى تأكد حقهما كل التأكد فوجب شكرهما إتماماً لشكر المنعم الحقيقى فما ظنك بمن كان سبباً فى الوجود الحقيقى الروحانى بالخروج من الظلمات الى النور وهو صفوة جميع الخلق ﷺ وانما كانت دعاء منا له لتستشعر نفس المصلى بأنها عاجزة عن القيام بما يجب لهذا الرسول الكريم وأنه لا طاقة لها على مكافأته فتعلن الالتجاء الى الله أن يتولى ذلك عنها، فكأن المصلى يقول بلسانه حال صلاته أتم شكرى لك بشكر أفضل من أجريت لنا النعم الظاهرة والباطنة على يديه وأعلن كل ضعفى عن القيام بما يلزم له فنب أنت عنى باذالك من الرحمة ما يليق بمقامه الذى أنت به أعلم وانما تأكد الاكثار منها لكثرة ما فى أعناقنا من المنن التى قلدنا الله بها على يديه فى الدنيا والآخرة كيف لا وببركة نوره هديت القلوب الى الإيمان وتوابعه واستقرت فيها أنواره فاستحقت بفضل الله تعالى الخلود فى دار النعيم والنظر الى وجه الله الكريم، ومن أجل أسرار مشروعيتها أيضا تقوية الرابطة الروحانية بين هذا الروح الأعظم روح الأرواح وبين أرواح

المؤمنين لتنبعث لهذه الرابطة الأنوار و البركات من ذلك الجناب الأعلى إلى هذه النفوس الأرضية البعيدة عن تلك الحضرات العلية فان هذه الرابطة فى العالم الروحانى بمنزلة الأنابيب التى تجرى فيها المياه من المنبع إلى المصب أوالأسلاك الكهربائية فى العالم الجسمانى فيكون توجه المصلى الى روحه ﷺ وتذكره له وقت صلاته عليه بمنزلة وصل المصب بالمنبع فما هو إلا أن يفيض البرّ والخير من هناك عليه حساً ومعنى لأن الله تبارك وتعالى قد جبل رسوله على أن يكون فياضاً للجود فى الدنيا والآخرة خصوصاً للمتعرض للنفحات الإلهية ، وقد أشار إلى ذلك شيخ مشايخنا العلامة العارف أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى فى كتابه « الحجة » حيث قال : إن النفوس البشرية لابد لها من التعرض لنفحات الله ولاشىء فى التعرض لها كالتوجه إلى أنوار التدليات والى شعائر الله فى أرضه والتكفف لديها والامعان فيها والوقوف عليها لاسيما أرواح المقربين الذين هم أفاضل الملأ الأعلى ووسائط جود الله على أهل الأرض .لوجه الذى سبق ذكره بذكر النبى ﷺ بالتعظيم وطلب الخير من الله تعالى فى حقه آلة صالحة للتوجه اليه مع مافيه من سد مدخل التحريف حيث لم يذكره إلا بطلب الرحمة له من الله تعالى اه وهوكلام فى غاية الجودة يدركه من ارتقى عن العامية وأحس بأنوار الأعمال وأوتى حظاً من العلم بنواميس الروحانيات ، ولهذه الأسرار وأشباهها حضت الأحاديث الكثيرة النبوية عليها . روى مسلم وغيره عن النبى ﷺ قال « مَنْ صلّى علىّ صلاةً واحِدَةً صلى اللهُ عليهِ عشراً » وروى أحمد والحاكم وصححه عن عبدالرحمن بن عوف قال : خرج رسول الله ﷺ فاتبعته حتى دخل نخلا فسجد فأطال السجود حتى خفت أو

خشيت أن يكون الله قدتوفاه أوقبضه ، قال فجئت أنظر ، فرفع رأسه فقال مالك ياعبد الرحمن ؟ قال فذكرت ذلك له ، قال فقال « إن جبريلَ قال لى ألا يَسُرُّكَ أنَّ اللهَ عزّوجل يقولُ مَنْ صلى عليكَ صَلَّيْتُ عليهِ ومَنْ سلَّمَ عليكَ سلمتُ عليهِ ، فسجدتُ لله شكراً » . وروى النسائى عنه ﷺ قال « مَنْ صلى علىَّ مِنْ أُمتى صلاةً مخلصاً مِنْ قلبهِ صلى الله عليه بها عَشْرَ صلواتٍ وَرفعهُ بها عَشْرَ درجاتٍ وكتبَ لهُ بها عشرحسَنات ومَحَا عنهُ عشرَ سيئاتٍ » وروى أحمد وابن حبان فى صحيحه نحوه ورواه ابن أبى عاصم فى كتاب الصلاة وزاد « وكانت لهَ عدل عَشْرَ رقاب » . وروى أحمد أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والسرور يرى فى وجهه ، فقالوا يارسول الله إنالنرى السرور فى وجهك ، فقال : إنهُ أتانى الملكُ فقال يامحمدُ أما يرضيك أنَّ ربك عز وجل يقول إنه لايصلى عليك أحدٌ مِنْ أمتكَ ألا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلاسلمتُ عليهِ عَشراً قالَ بلى » ورواه ابن حبان فى صحيحه بنحو هذه . وروى الطبرانى « أن النبى ﷺ أتاهُ جبريلُ فقالَ : يامحمدُ إن الله عزّوجل وكلَ ملكاً مِنْ لَدُنْ خَلقَكَ إلى أنْ يبعثكَ لايصلى عليك أحدٌ من أمتكَ إلاَّ قالَ وأنْتَ صلى اللهُ عليكَ » وروى أيضاً باسناد حسن عنه ﷺ قال « حيثما كنتم فصلوا علىَّ فإنَّ صلاتَكم تَبْلُغنى » وروى أيضا باسناد لابأس به عنه ﷺ « مَنْ صلى علىَّ بَلَّغتنى صلاته وصليتُ عليهِ وكُتبَ لهُ سِوى ذلكَ عشرحسناتٍ » وروى أحمد وأبو داود عنه عليه الصلاة والسلام قال « مامِنْ أحدٍ يُسَلِّمُ علىَّ إلا رَدَّ اللهُ إلىَّ رُوحى حتى أرُدَّ عليهِ السلام » والمراد برد روحه اليه بلوغ ذلك له

وتمكينه من الرد على المسلم عليه ولفت الله إياه عما هو فيه من شأنه الأعلى إلى هذا المُسلم ، وإنما عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة تنزلا إلى فهم المخاطبين فصلى الله عليه من نبى كريم بالمؤمنين رءوف رحيم . قال رسول الله ﷺ « إنَّ أولى الناسِ بى يومَ القيامةِ أكثرُهُمْ علىَّ صلاة » رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه . وقال ﷺ « مَنْ صَلَّى علىَّ صلاةً لم تزل الملائكةُ تُصلى عليه ماصلى علىَّ ، فَلْيُقِلَّ عبدٌ مِنْ ذلكَ أوْ لِيُكْثِرْ » رواه أحمد وغيره . وعن أبى بن كعب رضى الله عنه « قال : قلت يارسول الله انى أكثرُ الصلاةَ فكم أجعلُ لكَ من صَلاتى ؟ قال ماشئتَ . قال قلت الربع . قال ماشئتَ وإن زِدْتَ فهو خيرٌ لك . قال قلت النصف قال ماشئت وإن زدت فهو خير لك قال قلتُ الثلثين قال ماشئت فإن زدتَ فهوَ خيرٌ لكَ . قال أجعلُ لكَ صلاتى كلها . قال إذن تكفى هَمَّكَ ويغفرُ لكَ ذنبك » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح والحاكم وصححه وأحمد وفى رواية له « أن رجلا قال يارسول الله أرأيت إن جعلت صلاتى كلها عليك ؟ قل إذن يكفيكَ الله ماأهمَّكَ من دنياكَ وآخرتكَ الخ » واسناد هذه جيد . وقول أبىّ رضى الله عنه : إنى أكثر الصلاة معناه أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعائى صلاة عليك ؟ وقال ﷺ « اكثروا منَ الصلاةِ علىَّ يومَ الجُمُعَةِ فانهُ مشهودٌ تشهدهُ الملائكةُ وإنَّ أحداً لَنْ يُصلى علىَّ إلا عُرِضَتْ علىَّ صلاتهُ حتى يفرغَ مِنها » وفى بعض الروايات حين يدل حتى . قال أبو الدرداء : قلت وبعد الموت قال : إن الله حرَّم على الأرض أن تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ عليهم

السلام ، رواه ابن ماجه باسناد جيد . وقال ﷺ « أكثروا من الصلاة علىَّ فى يوم الجمعة فان صلاة أمتى تعرض علىَّ فى كل يوم جمعة فمن كان أكثرهم علىَّ صلاة كان أقربهم منى منزلة » رواه البيهقى باسناد حسن اذا صح سماع مكحول من أبى أمامة . ويؤخذ من هذا الحديث والذى قبله أن عرض صلاة المصلين على رسول الله ﷺ يتكرر فعرضة حين يفرغ منها فى أى يوم كان وعرضة أسبوعية تكون فى يوم الجمعة ليعلم بذلك مجموع مافعله فى الأسبوع كله . ومن ذلك يظهر وجه تأكد الاكثار من الصلاة والسلام عليه فى هذا اليوم وهو أن يتدارك مافاته من التقصير فيفوز بمزيد القرب من هذا الحبيب البشير النذير . وقال ﷺ « من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة فأكثروا علىَّ من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علىَّ » فسألوه مثل سؤال أبى الدرداء فأجابهم بمثل ما أجابه به فى الحديث قبل هذا رواه أحمد وأبوداود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه وعن على كرم الله وجهه قال : كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد ﷺ رواه الطبرانى فى الأوسط ورواته ثقات . وروى الترمذى عن عمر بن الخطاب قال : إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لايصعد منه شىء حتى يصلى على نبيك ﷺ . وهذا صريح فى أنه عليه الصلاة والسلام الواسطة العظمى فى وصول الخير إلى المؤمنين حتى أن دعاءهم لايغنى عنهم شيئاً حتى يصلوا عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وصح عن عدة من أصحاب رسول الله ﷺ أنه صعد المنبر فقال : « آمين آمين آمين ،

فقيل يارسول الله رأيناك صنعت شيئا ما كنت تصنعه ، فقال : إن جبريل عليه السلام أتانى فقال : من أدرك شهر رمضان فلم يُغفَرْ له فدخل النارَ فأبعدَهُ الله قل آمين ، فقلتُ آمين ، ومن أدركَ أبَوَيْهِ أو أحدَهما فلم يبرّهُما فماتَ فدخلَ النارَ فأبعدَهُ الله قل آمين ، فقلتُ آمين ، ومَنْ ذُكِرْتَ عندَهُ فلم يصلِّ عليكَ فماتَ فدخلَ النارَ فأبعده الله قل آمين فقلتُ آمين » رواه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحه واللفظ له والحاكم وقال صحيح الاسناد والبزار والطبرانى بألفاظ متقاربة ، ومن ثم أوجب بعض أهل العلم الصلاة عليه كلما ذكر صلى الله عليه وسلم وحمل الجمهور الوعيد على من تركَ الصلاة عليه تهاوناً بحقه صلى الله عليه وسلم ولاشك فى أنه آثم أوكافر . أما من ترك ذلك بمحض الغفلة فقد فاته خير كثير .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « البخيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَه فلَم يُصَلِّ عليَّ » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ورواه النسائى وغيره . وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا سَمِعْتُمُ المؤذِّنَ فقولوا مِثْلَ مايقولُ ثُمَّ صلوا عليَّ فانه مَنْ صلى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليهِ عشراً » الحديث رواه مسلم وغيره وتكون الاجابة كما فى حديث مسلم ، وفيه أنه يقول فى الحيعلتين الحوقلة وأن من أجاب على هذا النحو دخل الجنة يعنى دخولا من غير سابقة هو ان نسأل الله أن يبلغنا ذلك وأشياخنا ووالدينا وإخواننا فى الله انه الجواد الكريم المنان . وصلى الله وسلم وبارك على أفضل خلقه سيدنا ومولانا محمد المصطفى وعلى آله وصحبه أفضل وأكثر وأزكى ماصلى على أحد من خلقه وسلم وبارك ، والحمد لله رب العالمين .

(تنبيه)

يقول الفقير إلى الله تعالى نجل المؤلف قدس سره نجم الدين قد امتازت هذه الطبعة عن سابقتيها بمزيد العناية والتحرير لهذا المؤلف النفيس كحل مافيه من المشكلات والجواب عما عساه أن يرد على بعض الأحاديث الشريفة من الاعتراضات وحذف ما اشتد ضعفه وإبداله بما يصح الاحتجاج به من الأحاديث الشريفة وغير ذلك كبيان معنى كون النيل وغيره من الجنة بما ينفق مع ما يشاهده الناس من أن منابعها فى الأرض وبيان ما يسمى عالم المثال عند القوم وتتمه نفيسة فى حكمة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك باملاء شيخنا خليفة المؤلف العارف بالله تعالى رافع لواء الشريعة وناشر أعلام الحقيقة غرة الدهر وجهبذ العصر المحدث الحافظ الفقيه الأستاذ الفاضل الشيخ سلامه العزامى أحد أكابر علماء الأزهر فضلا عن جودة الورق وحسن الطبع وضبط الأحاديث الشريفة بالشكل رغبة فى التيسير على قرائه وبالله التوفيق

فهرس

صفحة

٢ خطبة الكتاب وفيها بيان سبب التأليف

٣ مقدمة فى وجوب محبته صلى الله عليه وسلم واتباع سنته

٥ فصل فى فضل رجب

٨ مبحث فى بيان معنى رفع الزمان والأعراض إلى الله تعالى وبيان عالم المثال المذكور كثيرا فى كتب الصوفية

٩ مبحث فى معنى قوله عليه الصلاة والسلام أن الزمان قد استدار

١٠ مبحث فى حكمة تحريم الأشهر الحرم

١١ فصل فى صوم رجب

١٣ مبحث فى بيان أن الحديث الضعيف يعمل به فى الفضائل وما قاله النووى فى ذلك وبيان أن كثرة الثواب لا تدل على الضعف فضلا عن الوضع

١٤ ذكر جملة من الأحاديث الصحاح التى فيها الثواب الجزيل على العمل القليل والجواب عما ظاهره التعارض من تلك الأحاديث

صفحة

١٧ ذكر حديث ثابت فيه البشارة بأن الخطوة الواحدة إلى المسجد بصيام سنة وقيامها بشروط مخصوصة مع شرح هذا الحديث الشريف وبيان أقوال أهل العلم فى التبكير يوم الجمعة

١٨ ذكر أحاديث صحاح فى فضل الصيام وفيه أصرح دليل على فضل الصوم فى رجب ويلى ذلك مواعظ نفيسة

٢٦ فصل فى قصة الأسراء والمعراج على ما أشارت إليه صحاح الأحاديث مع توضيح العبارة وتقريبها للأفهام

٢٧ بيان بعض ما انكشف له صلى الله عليه وسلم فى مسراه وأنه منقسم إلى قسمين وفيه الأجوبة عن كثير من الأشكالات

٣٣ ذكر معراجه صلى الله عليه وسلم إلى السموات وما بعدها

٣٨ مبحث معنى كون النيل من الجنة مع أنا نراه ينبع من الأرض

٤٤ فصل فى بعض مارآه صلى الله عليه وسلم فى ليلة المعراج من الفضائل

٤٥ مقاولة بلسان الحال بين جبريل وميكائيل والعرش وسيد المرسلين

٤٨ فصل فى تفسير آية الاسراء وفيه مقدمة عن تزيل مطالعها استبعاده

٥٨ فصل فى تفسير آية المعراج

٦٥ فصل فى اثبات رؤيته صلى الله عليه وسلم للذات العلية

٦٧ مبحث الجواب عن إنكار السيدة عائشة رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه

٦٨ فصل فى رؤية العباد لله تعالى

٧٣ فصل فى الرؤية القلبية والمنامية للذات العلية والحضرة النبوية

٨٠ فصل فى الشفاعة

٨٢ مبحث فى أن انكار الحديث لأنه ليس فى القرآن ضلال والجواب عن هذه الشبهة من بعض اجلاء اصحاب رسول الله صلى الله عليه مع غاية الايجاز والوضوح

٨٧ خاتمة فى فضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

٨٨ تتمة لخليفة المؤلف رضى الله عنهما فى تخريج ما أشارت اليه الخاتمة من الأحاديث ونفائس أخرى غنى لطالب العلم عنها

(تم الفهرست)

DUE DATE

SEP 3 0 1993

SEP 19 1993

201-6503

Printed in USA

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES
0038003619

JAN 20 1977
DEC 15 1976

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU55320368
BP75.2 .I15 Kitab Daw al-siraj f

BP
75.2
.I15